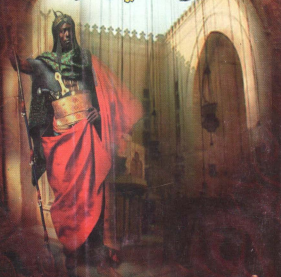
الملك النجاشي

بين المسيحية والإسلام



جمال صلاح الدين

الملك النجاشي
بين المسيحية والإسلام

جمال صلاح الدين

الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠٠٧

صلاح الدين، جمال .
الملك النجاشى بين المسيحية والإسلام/ جمال صلاح الدين. ـ القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٧.
١٧٢ص ؛ ٢٠ سم .
تدمك ١ ٦٥١ ٤١٩ ٩٧٧
١ ـ الإسلام ـ تاريخ.
٢ ـ الإسلام والمسيحية .
(أ) ـ العنوان .
رقم الإيداع بدار الكتب ٤٨٣٠/ ٢٠٠٧
I.S.B.N 977 - 419 - 651 - 1
ديوى٩ , ٢١٠

الإخـــراج الفـــنى : أميرة محسن منتصر

تصـميم الغلاف : إنجى الـريدى

محتويات كتاب الملك النجاشي
بين المسيحية والإسلام

أولاً: المقدمة:

وتحتوى على تقديم لفكر النجاشى وأبعاده الإنسانية وحاجتنا لهذا الفكر الإنسانى بعيدًا عن التعصب للمعتقد الدينى.

ثانياً: الفصل الأول:

ويحتوى على استعراض للعلاقات السياسية والاقتصادية بين الحبشة والجزيرة العربية قبل الإسلام وحادثة الفيل.

ثالثا : الفصل الثانى:

ويحتوى على أسباب اختيار الحبشة دارًا للهجرة.

وهجـرة المسلمـيـن الأولى ثـم عـودتهم لمكـة. ثـم إسـلام حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب.

رابعاً: الفصل الثالث:

ويحتـوى على قصـة النجـاشى مع وفـد قـريش بقـيادة عمـرو بن العاص ورفض النجاشى تسليم المهاجرين إليه. والفكر وراء هذا التصرف.

خامسًا: الفصل الرابع:

ويحتوى على عدة مواقف للنجاشى مثل خروج الحبشة على النجاشى واحتفال النجاشى بانتصار المسلمين فى بدر، ودور النجـاشى فى إسـلام عـمـرو بن العـاص، ودور النجاشى فى زواج سيدنا محمد من (أم حبيبة) ودلالة كل هذه التصرفات.

سادسًا: الخاتمة:

وتحـتـوى على مـوضـوع وفـاة الملك النجـاشى، والفكر الإنسانى المتقدم للنجاشى. وحاجتنا حاليًا للتفاهم والتعاون مع باقى أصحاب المعتقدات المختلفة فى إطار إنسانى.

جمال صلاح الدين

المقدمة

منذ صغرى وأنا أسمع عن هذا الرجل. ومع الوقت أحسست أن هذا الرجل نوع نادر من الرجال. ممن صدقوا مع أنفسهم. وفى هذا العهد البعيد وفى هذا البلد البعيد على ساحل إفريقيا. نجد هذه الشخصية الجميلة بكل ما تحمل. كلمة جميلة من معانٍ وأبعاد وأعماق.

شخصية قوية أمينة، تعرف الأحوال ومؤمنة حقًا، عقل متفتح وذهن متقد وروح وثابة.

إنه النجاشى ملك الحبشة أثناء البعثة المحمدية. والذى جذبنى للكتابة عن هذا الملك هو ما بلغنا عن تصرفاته مع المهاجرين من مكة إلى الحبشة. وهى من أوائل هجرات المسلمين هربًا من اضطهاد المشركين. وقد نصحهم رسول

الله ﷺ بالهجرة للحبشة قائلاً (أعلم أن فيها ملكًا لا يظلم عنده أحد). ورغم أن النجاشى ملك الحبشة مسيحى الديانة وملك إفريقى لا ينقصه شىء. إلا أن ذلك لم يحل بينة وبين أن يمد يد العون لأصحاب رسالة سماوية جديدة لجئوا إليه طلبًا للحماية. لا تربطهم به صلة ولا تجمعه بهم مصلحة. فهو يملك ويحكم. ما أغناه عن هذا وما أحوجه للاستقرار وتوطيد حكمه. ولكنها الإنسانية. نعم الإنسانية وهى مفتاح هذه الشخصية الإنسانية هى التى دفعت النجاشى لإسباغ حمايته على اللاجئين إليه ورفض أى عرض أو مغريات لتسليمهم إلى أعدائهم المشركين فى مكة.

وأكتب هذا حاليًا لأننى أعتقد أن أمّة العرب والمسلمين فى حاجة ماسة إلى إعادة إعمال الفكر والتواؤم مع باقى أمم العالم. وفى حاجة إلى إعادة التوجيه والتوجيه المستمر فى اتجاه التفاهم مع باقى العالم فى إطار من تفهم الآخرين وإعادة وضع القواعد التى تمكننا من التعامل بصورة جيدة ومقبولة مع غير العرب وغير المسلمين. وأعتقد أن القاعدة واضحة وهى أننا إذا رفضنا العالم فلا غرابة أن يرفضنا العالم. ونحن نرى هذا حتى على مستوى التعامل الشخصى. فلا يعقل أن يرفضك شخص وتصر

أنت على حب هذا الشخص والتعامل معه. فهذاغير وارد فى دنيا العقلاء.

وقد قطعت دول العالم المتقدم شوطًا كبيرًا من التجارب البشرية والصراعات والحروب. وخرجت تلك الدول بنتائج قوية وحاسمة، فقد نبذت إلى حد كبير التفرقة بين البشر على أساس العقيدة الدينية وحدها، وسعت إلى التفاعل مع بعضها البعض، وخرجت من حروبها العالمية أقوى وأقدر على الفهم بعد أن صهرتها نيران الصراعات والحروب. وأستطيع أن أؤكد أن الحضارات والتقدم والرقى لا يأتى طفرة واحدة، ولكنه أشبه بالبناء المعتمد على الأساس المتين ثم الطابق الأول يليه الطابق الثانى وهكذا حتى يرتفع البناء وقد يصل إلى ناطحات السحاب طبقًا لمتانة الأساس ومواءمته لطابع البشر وتوافقه مع ثقافاتهم، ولا أعنى بالثقافة الإلمام بالعلوم والفنون والآداب؛ بل أعنى بالثقافة مدى قدرة البشر فى مجتمع معين على التواؤم مع الطبيعة الإنسانية؛ وفهمها، وطريقة الحياة والتعامل مع الآخرين، ومنظومة المبادئ والأفكار الأساسية التى يؤمن بها غالبية أفراد المجتمع، وطريقة التفكير ووسائل التطوير التى يتبعها المجتمع حتى لا يتجمد أو يتقهقر للوراء.

ولذلك فإنه من الخطأ التركيز على بعد ثقافى واحد فى تكوين الشخصية القومية. ونحن فى مصر محظوظون، لأن لنا أكثر من بعد ثقافى، ففى البداية بداية العالم كانت مصر الفرعونية سيدة العالم وقبلة الثقافة والعلوم والدين والتوحيد، ثم جاء الرومان واليونانيون وبعد ذلك المسيحية ثم العرب المسلمون. ثم إن مصر من الناحية الجغرافية بلد إفريقى وعربى وشرق أوسطى وإسلامى وقبطى. كل هذا يعطى مصر بصفة خاصة مساحة واسعة جدًا من الثقافات ومصادر متعددة تغذى الروح المصرية وتبنى الشخصية الثرية المتنوعة القادرة على التفاهم مع مختلف الثقافات واستيعابها والتفاعل معها، وكل هذا يعطى الثراء للشخصية المصرية.

والشخصيات ذات البعد الثقافى الواحد هى شخصيات محدودة لا يمكن أن تبنى أو تطور حياة أو تتفاعل مع الآخرين، شخصيات مغلقة تنظر للآخرين وللعالم من خلال ثقب ضيق وتقيس العالم وفق منظورها المحدود والضيق، وتصدر حكمها على كل مخالف لرأيها أو عقيدتها الدينية أو فكرها السياسى أو أى مخالف لها فى أى شىء بأنه على باطل مطلق.

هذا هو الغباء بعينه. إن الله سبحانه وتعالى هو الذى خلق الناس، وخلقهم مختلفين فى اللون والنوع (ذكر وأنثى) والقدرات الذهنية والروحية، والمجتمعات والأماكن الجغرافيه وأيضا مختلفين فى الأزمنة التى يولدون فيها. فلا يمكن القول بإننا حاليًا مثل البشر الذين كانوا موجودين منذ ألف سنة مثلاً، لأننا نأكل ونشرب ونخرج مثلهم. لأن الإنسان هو الكائن الوحيد القابل للتطور والتطوير والتغير فى ثقافته وعقليته وطرق حياته. فهل نحن نحيا حاليًا مثلما كان الإنسان يحيا منذ ألف عام؟ بالتأكيد لا!

وبالتالى فإن أية فئة فى هذا العالم تظن أنها هى فقط على الحق المطلق وأن باقى فئات وشعوب العالم على باطل مطلق هى فئة جانبها الصواب. وكم عانى العالم من هذه الأفكار حينما تنبت نبتًا شيطانيًا فى عقول فئة معينة أو مجتمع معين. وعلى سبيل المثال فإن أمما مثل المغول والتتار ظنوا أنهم الأحق بقيادة العالم واجتاحوه واحتلوه وبسطوا نفوذهم لبعض الوقت. ولكن لأن المبدأ من أساسه خطأ فإن هذه الأمم ذاتها قد هُزمت وفنيت هل هناك درس أكبر من هذا. إن القوه العسكرية دون قاعدة ثقافية وإنسانية قادرة على التطور مصيرها الفناء وفى القرن

العشرين فقط قامت الحرب العالمية الأولى بسبب اغتيال ولى عهد النمسا فى سراييفو. وظلت الحرب أربع سنوات وانتهت إلى لا شىء.

وفى ألمانيا فى نهاية الثلاثينيات ظهرت هذه الفكرة فى عقول قادة ألمانيا وقتها (الحزب النازى)، وملخص هذه الفكرة هى تفوق الجنس الآرى على باقى أجناس هذا العالم، ومن ثم لابد أن يحكم هذا الجنس العالم كله ويسيطر على العالم عسكريًا واقتصاديًا وسياسيًا، ولابد أن يفتح العالم أسواقه للمنتجات الألمانية، فماذا كانت النتيجة؟.

تم تدمير ألمانيا تدميرًا كاملاً وانتحر زعيم النازية هتلر بعد أن كلف العالم ٧٠ مليون قتيل، وألمانيا نفسها اقتسمتها أمريكا والاتحاد السوفيتى. ولا يزال الشعب الألمانى حتى بعد توحده مرة أخرى يدفع تعويضات الحرب للشعوب التى أضيرت من الحرب، تلك الحرب التى انتهت منذ أكثر من نصف قرن. تلك بعض دروس التاريخ فهل من مدكر؟ هل لابد أن نكرر أخطاء الأمم السابقة؟ وأى مصير نتوقع غير مصير هذه الأمم. هل يرضى أحد أن تنهزم أمة المسلمين أو أن تضار أو تعزل عن العالم أو تدمر ديار المسلمين. تلك هى النهايات المتوقعة حتى على مستوى العالم إذا استمر

البعض فى التصرف على النحو الذى يظهر الإسلام والمسلمين مظهر المتعصبين المهووسين والذين يريدون دمار العالم، حتى أصبحت صورة المسلمين فى العالم صورة الإرهابى الدموى القاتل الذى يسعى إلى تدمير الأمم الأخرى، وبالتالى خُلق رأى عام عالمى مناهض للمسلمين تتجلى ردود أفعاله فيما يحدث على المسرح الدولى من التصرف بظلم ضد المسلمين فى قضاياهم الدولية مثل حرب الخليج واحتلال العراق والصراع العربى الإسرائيلى والاتفاقيات الاقتصادية والتجارية.

وتعالوا نناقش الفكرة من أساسها، فكرة أن يعتقد فرد أو أمة أن فكرها أو عقيدتها أو رأيها أو ثقافتها هى الحق بعينه، وبالتالى فإن أى فرد أو أمة أخرى على باطل أو بأقل القليل قد جانبها الصواب. هذه الفكرة ضد فكرة البشرية أساسًا، لأن الإنسان بطبيعته التى خلقها الله يولد طفلاً ويشب وينمو ويتعلم أو لا يتعلم وذلك وفقًا لظروفه العقلية والاجتماعية والسياسية، ويخطئ كثيرًا ويتعلم أحيانا ولا يتعلم أحيانًا أخرى. وتتكون عقلية الإنسان العاقل وفق تكوينه الجسمانى والنفسى والوراثى، ويشكل وجدانه المجتمع الذى يحيا فيه، والبيئة المحيطة به تشكل ثقافته بمعنى مجموعة الأفكار التى يعتنقها ويؤمن بها.

هذه الثقافة تختلف بالتأكيد من شخص لآخر. فكيف يمكن لإنسان أن يعتقد بصواب رأيه فقط وخطأ كل الأفكار أو الأشخاص الذين يختلفون عنه أو معه.

أعتقد أنه من غير الصواب الحكم على كل الآخرين بأنهم لا يدركون الحقيقة ولا يعلمون الحق وأنهم على خطأ مطلق، لأنه إذا كان للآخرين عقيدة مختلفة أو ثقافة مختلفة فإن النظر لهذه العقيدة أو الثقافة من منظور دينى سوف يضع أى شخص مختلف فى العقيدة أو الثقافة فى موقف صعب جدًا وبين خيارين أحلاهم مر، إما أن يتركوا عقيدتهم وينضموا إلى الحق الذى نعتقده، وإما أنهم كفار والعياذ بالله.

وهذا المنطق قد تجاوزته الحضارة الإنسانية والفكر العالمى والمبادئ الدولية. بل إن هذا الفكر بعيد تمامًا عن التعاليم الدينية الصحيحة حتى أن الله سبحانه وتعالى أرشد سيدنا محمد ﷺ عن كيفية معاملة المختلف فى العقيدة بقوله تعالى (لكم دينكم ولى دين). كما أن الله سبحانه وتعالى ترك حرية الإيمان والكفر للإنسان يقررها بإرادته الحرة المنفردة فى قوله تعالى (ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر). وبالتالى فإن حرية الاعتقاد مكفولة فى

جميع الديانات بما فيها طبعًا الإسلام. والثواب والعقاب فى الآخرة يتولاه الله وحده، وأى تدخل من الإنسان فى الحكم على عقيدة إنسان آخر هو إفتئات على الحق المطلق لله فى الحكم بالكفر أو الإيمان على عقيدة أى إنسان. كما أن فكرة استنساخ صورة كربونية من مجتمع مكة أو مجتمع المدينة أثناء وجود رسول الله صلى الله عليه وسلم هى فكرة مستحيل تنفيذها، لأن الزمان لا يعود للوراء أبدًا.

يكمن الخطأ فى أن الأحداث والظروف التاريخية والجغرافية والحضارية والعلمية والأحداث الإنسانية، وأسباب الصراع، والثقافة وكل شىء مختلف تمامًا الآن عن فترة حياة سيدنا محمد ﷺ ويكمن العجز فى أن عقولنا وتركيبتنا عجزت عن التواؤم مع العصر الحديث بكل معطياته العلمية والحضارية والإنسانية، وأصبحنا لا نستطيع أن نجارى العصر، فهدانا تفكيرنا العاجز أو عجزنا عن التفكير الى محاولة الارتداد بالمجتمع إلى الماضى. ومحاولات اجترار التاريخ لا يزال يقوم بها من يطلقون على أنفسهم مفكرين.كما أن محاولات الإسقاط التاريخى؛ أى محاولة إيجاد موقف مشابه فى الماضى للمواقف الحالية.وسحب الحكم أو التصرف فى الموقف الماضى على الموقف الحالى هى أكبر دليل على عجز الفكر

العربى حاليًا عن أن يجتهد لعصره، ويخرج بأحكام تتوافق مع الشريعة الإسلامية ولا تنسى مصالح المجتمع الحالى وسعيه الدائم للتقدم والرقى والتفاعل مع باقى الحضارات المختلفة فى عصرنا الحالى. بل إنه واجب على المسلمين أن يقودوا العالم بعقيدتهم الصحيحة. ولكن السؤال المؤلم. كيف يقود المسلمون العالم وهم ينعزلون رويدًا رويدًا عن هذا العالم حضاريًا وفكريًا وإنسانيًا وعقائديًا؟ بل ويعتقدون أن هذا العالم المخالف فى العقيدة والفكر هو عالم يجب مواجهته.

وبعض الدعاوى الموجودة على الساحة الإسلامية هى دعاوى للعودة للوراء، والارتداد للماضى الجميل زمن الحب والتراحم والإيثار والسلام. ويعلم الله أن هذا لم يكن أبدًا حال المسلمين بعد وفاة سيدنا محمد ﷺ باستثناء فترات لا تتجاوز سنوات بحساب الزمن من تاريخ المسلمين. وبالتالى فإن هذه السنوات أو حتى العقود استثناء لا يجوز القياس عليه وباقى فترات حكم المسلمين من الأمويين والعباسيين والفاطميين والمماليك وغيرهم أغلبها فترات لا نريد حتى أن تعود، وحكم لا نقبل به، ووراثة حكم لا تمت للواقع الديمقراطى بصلة وبعيدة عن المستقبل المأمول تمامًا. إننى أدعو إلى التقدم للإسلام

وعلميته وإنسانيته وحضارته. إن التقدم للإسلام هو ما يمكن أن يقودنا لآفاق المستقبل الرحبة، ويصبح الماضى جزءًا من تركيبتنا وليس هو تفكيرنا ومحور حياتنا بحيث ننسى الحاضر ناهيك عن المستقبل. الإسلام جزء من تركيبتنا فى مصر. وجزء من ثقافتنا مثل الحضارة الفرعونية والإغريقية والرومانية والمسيحية والفاطمية والمملوكية بحيث أصبحت الشخصية المصرية هى البوتقة التى انصهرت فيها هذه الحضارات والثقافات، وهذا يعطى غنى للشخصية لأن أبعادها وثقافتها متعددة وذات مصادر مختلفة. وبالتالى فإن الشخصية المصرية مثل باقى الشخصيات ليس لها بُعد ثقافى واحد، وأى تفكير فى استيراد ثقافة أو نمط معيشة من دول أخرى ينتقص من خصوصية الشخصية المصرية ولا يضيف إليها، لأننا إذا تركنا ما لدينا من رصيد حضارى يندر أن يوجد مثله وذهبنا لتقليد ثقافات لدول أخرى فلن نحتفظ بطبيعة الشخصية المصرية، ولن نستطيع أن نكون نسخة من التركيبة الشخصية فى دول أخرى حيث صنعت ظروف مختلفة فى تلك الدول شخصية شعبها، وظروفنا فى مصر صنعت التركيبة الشخصية للشعب المصرى.

ولكن دلالة محاولة تقليد شخصية شعب آخر لها مدلولها الذى لا يخفى على لبيب، وهو عدم رضا الشخصية المصرية عن وضعها الحالى ومحاولة البحث عن تغيير للوصول للأفضل. وقد يبدو أننى قد ابتعدت عن الملك النجاشى موضوع هذا الكتاب ولكننى لا أعتقد هذا، لأن البحث عن الشخصية الإنسانية التى تؤمن بأن الحق فى الحياة متساوٍ لدى كل البشر. إن الإيمان بالاختلاف فى الاعتقاد أو السمات العامة هو جزء من شخصية الملك النجاشى التى أبحث فيها، ليس بهدف الوصول لحقائق تاريخية أو دينية، ولكن بهدف إلقاء الضوء على تلك الشخصية الفذة فى هذا الزمن البعيد التى أعطت مثالاً فى الإنسانية يظل صالحًا إنسانيًا لكل العصور. إن هذا الكتاب ليس كتاباً فى التاريخ ولا فى الدين ولكنه كتاب فى الفكر الإنسانى، وهو محاولة متواضعة للتعلم من دروس التاريخ حتى لا نضيع الإرث الثقافى الإنسانى الذى تركته لنا تجارب من سبقونا إلى هذه الحياة وما وصلوا إليه من نتائج من المفيد لنا أن نعلمها، لأن أعمارنا الإنسانية مهما طالت ليست كافية للمرور بكل التجارب الإنسانية وكما قيل «العاقل من اتعظ بغيره».

إن للحضارة مفهومًا تراكميا معرفيا وإنسانيا، وهذا ما يميز الإنسان عن غيره من المخلوقات. فإذا انفصلنا عن تراث الإنسانية وحضارتها انفصلت الحضارة عنا، وذهبت امتنا إلى غياهب النسيان والتخلف. وهذا مالا يتمناه أى منا.

ولذا وجب علينا أن نسعى لكل جديد ونتفاعل معه من منطلق إننا مشاركون فى هذا العالم ولسنا رافضين للعلم والحضارة والمعرفة والإنسانية. وكم عانى العالم الإسلامى من دعاوى العزلة والانعزال التى أدت بنا إلى التراجع والتخلف عن ركب الحضارة العالمى. ولذلك أقدم للقارئ فكر وتاريخ الملك النجاشى رمزًا ونبراسًا فى الفكر الإنسانى السابق لعصره. إن تصرفات وردود أفعال الملك النجاشى حيال المسلمين المهاجرين إليه لجديرة بالنظر والدرس، بدءًا من استقباله المسلمين المهاجرين إليه وإكرامه لهم وتأمينهم ورعايتهم، موقف مبدئى قائم على الأخلاق الحميدة؛ من إجارة الملهوف وحماية الضعيف، وهذه الأخلاق نابعة من أسس عقائدية وأخلاقية للملك النجاشى.

كما أن رفض النجاشى تسليم المسلمين للمشركين الذين أرسلوا وفدًا على رأسه عمرو بن العاص لاستعادة المسلمين

المهاجرين موقف آخر جديد بالتأمل، خاصة بعدما قدم عمرو بن العاص الهدايا لبطارقة النجاشى، وحمل الكثير من الهدايا للنجاشى نفسه.

ولكن النجاشى رفض تسليم المهاجرين إلى عمرو إلا بعد التحقق من ادعاءات عمرو. وما كان عمرو يكره شيئًا قدر كراهيته أن يناقش النجاشى المهاجرين فى ادعاءات عمرو ولكن النجاشى لم يأبه لهذا، بل أصر على مناقشة المهاجرين لاستيضاح حقيقة الأمر، حتى لا يصدر حكمًا دون سماع كافة الأطراف، وهو ما نطلق عليه حاليًا حق الدفاع.

وبعد أن استمع النجاشى لعمرو واستمع للمهاجرين أصدر قراره بعدم تسليم المهاجرين إلى عمرو.

وحتى عندما حاول عمرو بن العاص أن يوقع بين النجاشى والمهاجرين عن طريق إيهام النجاشى أن المسلمين المهاجرين يقولون فى عيسى ابن مريم قولاً لا يرضى النجاشى كملك مسيحى، أرسل النجاشى إلى المهاجرين يسألهم. ماذا يقولون فى عيسى ابن مريم؟

وعندما علم إيمان المسلمين بعيسى ابن مريم وأنه كلمة الله وروحه إلى مريم العذراء، قال لبطارقته بعد أن أخذ

عـودًا من الحطب «والله مـازدتم عنهم مـثل هذا». وأصـر على رأيه حتى ولو لم يعجب ذلك بطارقتـه. واسـتمـر فى إسباغ حمايته على المسلمين.

وعندمـا سـرت شـائعـة بأن النجاشـى قد اسـتبـدل دينه المسـيـحى بالديـن الإسـلامى دين المهـاجـرين إليـه نـاقش الثائرين بالحجة والمنطق وكان أحد أهم اهتمامـاته تأمين المسلمين قبل أن يناقش الغاضبين.

وحتى عندمـا خـرج عليه بعض رعيـتـه اهتم بحـمـاية المهـاجـرين لأنـه وعـدهم بـالأمـان. ومنَّ الله عليـه بالنصـر فبقى المسلمـون عنده عند خيـر جار بخير دار. ومن ثقة المسلمين بالملك النجاشى أن أرسل له سيدنا محمد يطلب منه أن يزوجه «أم حبيبة» بعد أن ارتد زوجها عبيد الله بن جحش واعتنق النصرانية ثم مات على النصرانية. فطلب رسول الله من النجاشى أن يزوجها له. ودفع النجاشى مهر «أم المؤمنين» أم حبيبة من ماله الخاص.

ومـواقف أخـرى عـديدة للملك النجـاشى فى مـسـاندة الإسـلام والمسلمـين، لأنه آمن بأن سـيـدنا مـحـمـد ﷺ هو رسـول من عند الله. وحـاولت أن أركـز على المواقف التى تحـمل مـعـانى وفلسـفـة وفكرًا كانت مثـلا وقدوةً فى ذلك

العصر. وحتى عصرنا الحاضر ما زالت تلك المواقف أمثلة نتعلم منها الفكر المستنير والعقل المتفتح والقلب الذكى. وتقدم الأمم رهن بقدرة هذه الأمم أو الأمة على التطور والتكيف مع العصر الجديد. ودائمًا فى حياة الأمة والعالم عصر جديد. تلك سنة الحياة دائمًا عصر جديد وجيل جديد لتجديد دماء الإنسانية وحفز همم البشرية.

وإذا لم تستطع أمة أن تتواءم وتتكيف مع العصر الجديد فإنها تتخلف وتسقط وتنهض أمم جديدة استطاعت أن تتواءم مع العصر الجديد فتقدمت ونمت.

وهذا حدث على مدار التاريخ، تبدأ أمم فى النهوض والتقدم ثم تكبر وتشيخ ويصيبها الترهل وقد تموت.. وتبدأ أمم فتية أخرى لتأخذ دورها فى الحياة. وأحد أكبر الآفات التى تصيب الأمة هو الجمود الفكرى وعدم قدرة أفراد المجتمع على إنتاج أفكار متطورة بصورة دائمة، ترفع من قدرة المجتمع على التفاعل مع عصره.

ولذلك فقد رأيت أن أقدم للقارئ مثالاً وقدوة ونموذجًا حيًا عاش بالفعل وليس شخصية وهمية أو أسطورية، ولكنه رجل من لحم ودم فكر واجتهد لعصره وكان بذلك مثالاً فى الإنسانية حتى الآن.

وهذه إحدى طرق التعلم أن نُدرِّس للأجيال الجديدة نماذج بشرية أعطت العالم أو الإنسانية أو بلادها أو مجتمعاتها المحلية، وساهمت بوضع لبنة أو حجر فى بناء الحضارة والإنسانية، وخاصة إذا كانت هذه النماذج قد أعطت فكرًا إنسانيًا معتمدًا على مبادئ الإخاء والمساواة والعدل.

وقد حاولت فى هذا الكتاب أن أبتعد ـ قدر استطاعتى ـ عن الغريب من الروايات أو غير المنطقى من الأحداث، وبعض الأمور يجب أن تكون محددة ومنطقية، ولذلك لم ألجأ أبدًا إلى الأحداث التى تعتمد على «وقيل إن» أو «وقال بعض الرواة» أو «وردت بعض الآراء»، وكان يمكن أن يكون هذا الكتاب فى أضعاف حجمه الآن. ولأن كل هذا غير موثق ولا نعلم من رواه أو حققه أو حضره ولذلك لم ألجأ إلى أى منها، لأن كثرة الروايات تربك القارئ والكاتب. وإذا ورد موضوع فى أكثر من مصدر فإننى اعتمدت على الأقرب للمنطق فى المصدر الذى أعتمد عليه، فمثلاً إذا وردت رواية فى أكثر من مصدر فإننى أختار المصدر الذى أعتمد عليه فيما يتفق وسياق الأحداث، ولذلك تجد فى الموضوع الواحد أكثر من مصدر.

وابتعدت بقدر استطاعتى عن الروايات التى تحدث إضطرابًا لدى القارئ، وحاولت أن أنسج ما حدث بنسيج منطقى سلس يعتمد على المصادر التاريخية المعتمدة.

وإن كان هذا الكتاب ليس فى التاريخ ولكنه يعتمد على التاريخ وهو نموذج حى يقدم الملك النجاشى وذلك لعمل ربط بين الأحداث التاريخية والفكر الإنسانى. وما أحوجنا الآن إلى رجال وقادة من نوعية الملك النجاشى. بعد كل هذه القرون أو هذه التجارب الإنسانية، والأعمار البشرية ومما حققته البشرية من الحضارة والتقدم العلمى والإنسانى والاجتماعى، فإننا نجد أنفسنا ننظر بإعجاب وتقدير وانبهار إلى هذا الملك، الذى سبق بعقليته الواعية والإنسانية كل ما تحدث عنه المفكرون والاجتماعيون والقادة حول التعايش السلمى ووطن واحد وعقائد متعددة...... انتهاءً بقبول الآخر. والنجاشى يجعلنا ننظر بعين الاستغراب والاستنكار لأى تعصب عرقى أو دينى، ونندهش كيف وجد البعض جراءة التعصب لما ورثه من الماضى ولم يكن له أى دخل فى هذا الاختيار، ويرفض فى نفس الوقت أن يعطى نفس الحق للآخرين الذين لديهم

انتماء وعقائد مختلفة. إن أقوى ما يمكننا كدول قديمة وصاحبة حضارة عظيمة هو الفكر الإنسانى ورصيدنا الحضارى والثقافى والتاريخى يؤهلنا لذلك، ويمكننا أن نرد على أية دعاوى للتفرقة بين بنى البشر من منطلق ثقافى وإنسانى وعقائدى أيضًا. إذ استقر فى وجداننا جميعًا فى مصر أن حرية الاعتقاد حق ملازم ومتلازم مع حق الحياة، وليس من حق أى إنسان أن يصادر على حرية أى إنسان آخر فى الاعتقاد، وإلا أصبح من حق هذا الآخر أن يصادر حريتى فى الاعتقاد.

إن تنوع الاعتقاد سُنَّة كونية خلقها الله فى كونه، وأى محاولة لاختزالها فى عقيدة واحدة محاولة محكوم عليها بالفشل لأنها ضد الطبيعة البشرية المتعددة الانتماءات. والملك النجاشى نموذج لحرية الاعتقاد وقبول الجديد والمختلف وإنسانية طاغية وعقل راجح، وهذا ما دفعنى للكتابة عنه، وأرجو أن أكون فى هذا الكتاب على مستوى الفكر الإنسانى للملك النجاشى.

جمال صلاح الدين

الفصل الأول

العلاقات السياسية والاقتصادية بين الحبشة والجزيرة العربية قبل الإسلام

تدل[1] أرجح الدراسات على أن الاسم العربى (حبشة) أو (حبشات) الذى يعنى الخليط أو الأجناس المختلطة, قد بدأ يطلق على تلك البلاد منذ أن بدأت تيارات الهجرة من الجزيرة العربية عامة ومن اليمن والجنوب العربى خاصة فى القرن السابع قبل الميلاد. ولكن نظرًا لكثرتهم وازدياد أهميتهم وتفوقهم على سكان البلاد الأصليين وكذلك لتغلب لغات هؤلاء المهاجرين على اللغة الأصلية فى البلاد أصبح

(١) فتحى غيث: الإسلام والحبشة عبر التاريخ، الفصل الأول ص٥ - ص ١٠.

الاسم (حبشة) يطلق على جميع المنطقة. واختلط المهاجرون الذين ينتمون إلى الجنس السامى (نسبة إلى سام بن نوح) مع أهل البلاد الأصليين الذين ينتمون إلى الجنس الحامى (نسبة إلى حام بن نوح).

أما لفظ أثيوبيا فهو اسم قديم، جاء ذكره فى كثير من الكتابات الإغريقية القديمة وغيرها من المراجع التاريخية والدينية، ومعناها الإغريقى "الوجه المحروق" ولذلك فإن المؤرخين أطلقوه على جميع الشعوب التى يتدرج لون بشرتها من السمرة إلى السواد، بما فيهم الزنوج وأن البلاد التى سكنتها هذه الشعوب تدعى أثيوبيا.

أولاً: تاريخ الحبشة

وتعود علاقة العرب بالأحباش إلى عصور قديمة سابقة على ظهور الإسلام، ويُعتقد أن تلك الأجناس تكوَّنت نتيجة هجرات سامية (نسبة إلى سام بن نوح) وفدت من الجزيرة العربية وأماكن أخرى إلى تلك البلاد فى عصور ما قبل الميلاد.

وتعتبر بلاد الحجاز من المناطق المهمة فى جزيرة العرب من الناحيتين الاقتصادية والدينية، أما من الناحية

الاقتصادية فقد كان يشقها شريان رئيسى من شرايين التجارة العالمية فى ذلك الوقت, فقد كانت بلاد الحجاز جسرًا يربط بين بلاد الشام ودول حوض البحر المتوسط من ناحية وبين اليمن والحبشة والصومال والسواحل المطلة على المحيط الهندى ـ بالطبع قبل حفر قناة السويس. مما كان له أكبر الأثر فى قيام مدن تجارية بالحجاز تعتبر محطات رئيسية على هذا الطريق البحرى، كما قامت ثغور تجارية مثل «الشعيبة» مرفأ مكة القديم وثغر «ينبع» مرفأ يثرب.

أما من الناحية الدينية فالمعروف أن بلاد الحجاز كانت لها أهمية دينية حيث تلاقت فيها جميع الأديان الوثنية واليهودية والمسيحية وذلك قبل ظهور الإسلام .

وقد ساعد على التبادل التجارى والهجرة البشرية من وإلى الحبشة أن عرض البحر عند مضيق باب المندب لايزيد عن ٢٨كم وهى مسافة يمكن قطعها بمراكب بدائية إلى حد ما بنسبة خطر معقولة لا تثنى الجميع عن العبور للبر الآخر .

والحبشة أو أثيوبيا ينحدر منها أهم روافد نهر النيل: النيل الأزرق والسوباط والعطبرة.

ويرجع تاريخ الحبشة إلى عصور ما قبل ميلاد السيد المسيح. وليس هناك معلومات مؤكدة عن أصل سكان الحبشة. ويرى المسعودى أن السودان الأحابيش من ولد كوش بن كنعان . هذا وبينما يعتقد فريق من العلماء أن سكان الحبشة كانوا فى الأصل جماعات عربية يمنية تقطن الساحل الجنوبى لشبه جزيرة العرب شرقى حضرموت، ثم هاجرت للغرب حيث عبرت مضيق باب المندب، وأقامت فى المناطق المقابلة لليمن على الساحل المواجه من القارة الإفريقية واستوطنت بها ويرجع أصلهم إلى قبيلة حبشت. وقد تمكن هؤلاء العرب من تأسيس مستعمرة تجارية على الشاطئ الأريترى، ثم مدوا نفوذهم إلى الهضبة الأثيوبية على حساب شعوب الكوش، ثم بمضى الزمن تأفرق هؤلاء المهاجرون عبر القرون.(١)

ولا يمكن الحديث عن الحبشة وحدها دون ربط ذلك مع "ما كان يحدث فى اليمن حيث إن الوضع فى الحبشة ينعكس على اليمن والعكس صحيح. ويقول السيد عبدالعزيز سالم بعد اضمحلال سلطان دولة سبأ فيما قبل الميلاد قام نزاع خطير حول العرش السبئى كان له أعظم

(١) السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ العرب قبل الإسلام ص ١١٣.

الأثر فيما أصاب البلاد من تخريب وتدمير........ وفى غمرة هذا النزاع حاول الريدانيون[1] والحِمّيَريون الإفادة منه، وتمكنوا فى النهاية من انتزاع العرش السبئى. وأسسوا فى عام ١١٥ ق.م أسرة جديدة لقب ملوكها (ملوك سبأ وريدان) وهم الحميريون الذين سنتحدث عنهم

(أ) الدولة الحميرية الأولى (ملوك سبأ وذى ريدان)

كانت الدولة الحِمّيرية الأولى فى الفترة قبل الميلاد (١١٥ ق. م ـ ٣٠٠ م) ومؤسس هذه الدولة هو آل شرح يحضب الذى ينسب إليه الإخباريون بناء قصر غمدان أشهر قصور اليمن.

وفى عصر هذه الدولة كانت الحملة الرومانية المعروفة بحمله إليوس جالوس ٢٤ ق. م، ولكن هذه الحملة فشلت فى تحقيق أغراضها للسيطرة على طُرق التجارة للهند عبر البحر الأحمر.

(١) الريدانيون: شعب عربى جنوبى كان يسكن قرب الساحل الجنوبى للجزيرة إلى الشمال من حضرموت، بينما كان الحميريون يسكنون إلى الغرب من حضرموت.

(ب) الدولة الحميرية الثانية (ملوك سبأ وذى ريدان وحضر موت ويمنت (٣٠٠م - ٥٢٥ م)[1].

مؤسس هذه الدولة شمر يرعش بن ناشر النعم (٢٧٠م - ٣١٠م) الذى تلقب فيما يقرب من عام ٢٩٠ م بملك «سبأ» وذى ريدان وحضر موت ويمنت". وشمر يرعش عند الإخباريين هو (تُبع الأكبر) الذى جاء ذكره فى القرآن الكريم فى قوله تعالى «اهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم أهلكناهم إنهم كانوا مجرمين» «٣٧ الدخان» .

أما فى الحبشة فقد تأسست مملكة أكسوم وهى عاصمة المملكة الحبشية وتعتبر المركز الرئيسى لتجارة العالم فى هذا الوقت. وازدهرت مملكة أكسوم، ثم بدأت تمد نفوذها على البلاد المجاورة. وأقرب هذه البلاد وأهمها للحبشة هى اليمن حيث يشتركان فى مضيق باب المندب مفتاح تجارة الهند مع الإمبراطورية الرومانية وأوروبا. وفى هذه المرحلة من مملكة أكسوم، دخلت المسيحية الحبشة عن طريق كاهن رومى اسمه (فرد سنتوسن) وأصبح أسقفاً للمسيحية بالحبشة عام ٣٥٤ م.

(١) السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ العرب قبل الإسلام ص ١١٤.

ثم أصبحت المسيحية ديناً رسميًا لمملكة أكسوم بعد أن اعتنق ملكها (عزانًا المسيحية[1] حوالى عام ٣٥٠ م).

وقد غزا الأحباش اليمن مرتين. الأولى فى عام ٣٤٠م فى عهد النجاشى «العلى عميده» - وهو غير النجاشى موضوع هذا الكتاب - ومنذ ذلك تلقب ملك الحبشة بملك «أكسوم وحِمّير وذى ريدان وحبشة وسبأ وتهامه»[2]

ثم تمكن «مليكيرب يهمن» من استرداد البلاد من الأحباش وطردهم فيما بين عامى (٣٧٠ - ٣٧٨) م

وغزا الأحباش اليمن للمرة الثانية عام ٥٢٥ م على يد «إرياط» قائد جيش الحبشة بأوامر من نجاشى النجاشية وكان ضمن جنوده أبرهه الأشرم. وكانت مملكة الحبشة تشتمل على خليط من الحاميين والساميين. كان لكل قسم من أقسامها [3] (يجرى - أمهرا - جوجام - جوا) ملك خاص من أهلها ولها استقلال ذاتى ويقال لحاكمها «النجاشى» ويخضع جميع النجاشية أو حكام الأقاليم إلى نجاشى النجاشية أو ملك ملوك النجاشية. ومقر حكمه

---

(١) دراسات فى تاريخ العرب: السيد عبدالعزيز سالم ص ١٢١.

(٢) المرجع السابق: ص ١٢١، ص ١٢٢.

(٣) فتحى غيث: الإسلام والحبشة عبر التاريخ ص ٢. ص ٢١.

عاصمة الحبشة أكسوم. أما عن معنى اسم النجاشى فيقول ابن منظور فى لسان العرب مادة نجش: إن النجاشى هو الناجش الذى ينجش فيستخرج وهو المستخرج للشىء. ولكن ابن كثير[1] يقول" إنما النجاشى اسم ملك: مثل كسرى وهرقل. ويقال قيصر لكل من ملك الشام مع الجزيرة من بلاد الروم، وكسرى علم على ملك الفرس، وفرعون علم على ملك مصر، والمقوقس لمن ملك الاسكندرية، وتبع لمن ملك اليمن والشعر، والنجاشى لمن ملك الحبشة، وبطليموس لمن ملك اليونان، وخاقان لمن ملك الترك».

ويضيف السيوطى إن من ملك مصر يقال له العزيز، والقبط : فرعون، وحمير: القيل، والهند: فغفور، والصابئة: النمرود، والبربر: جالوت.

وهكذا فإن النجاشى يطلق على من ملك إقليم فى الحبشة ونجاشى النجاشية لمن ملك الحبشة كلها من العاصمة أكسوم. وكانت العلاقات متوترة دائمًا بين الحبشة واليمن. وكانت الحبشة تغير على اليمن وتفتحها ثم تعود اليمن وتقاتل الحبشة وتخرجها من البلاد. وعندما

(١) البداية والنهاية لابن كثير، المجلد الثالث ص ٧٨.

كانت الحبشة تفتح اليمن كان يطلق على ملك الحبشة بالإضافة إلى ألقابه لقب ملك "حِمْيَر".

وكان الأمر هكذا سجالاً. ثم استمرت الوقائع بين الأحباش وحمّير فى أواسط القرن الرابع الميلادى. فتوالى ملوك الحبشة على اليمن ومنهم (العلى اسكندرى) حارب الهدهاد ملك حِمْيَر عام ٣٤٠م. ثم خلفه (العلى عميده) تولى الحكم من سنة ٣٤٠م إلى ٣٤٨م . فقد حارب الهدهاد وبلقيس (وهى غير بلقيس التى وردت قصتها مع النبى سليمان عليه السلام) وفتح اليمن عام ٣٤٥ م بمساعدة قيصر الروم. ثم تولى الحبشة واليمن بعد العلى عميده أولاده: عيزاناس (أذينه) تولى الحكم من ٣٤٨ م إلى ٣٦٥م، وبعده أخوه (سازاناس) حكم من ٣٦٥م إلى٣٧٤م . ثم عادت اليمن إلى الحِمْيَريين وتولاها من حِمْيَر "مليكيكرب يوهنعم" فى عام ٣٧٤م وظلت اليمن تحت حكم الحميريين حتى قام ذو نواس اليهودى المتعصب بحرق أهل نجران المسيحيين بعد أن خيرهم بين اعتناق اليهودية أو القتل ففضلوا القتل، فحفر لهم أخدودًا كبيرًا وأحرقهم فيه وقتل من قتل بالسيف أو بالحرق، حتى بلغ عدد القتلى قرابة العشرين ألفاً، وهم أصحاب الاخدود الذين ذكرهم الله تعالى فى القرآن الكريم ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ ۝٤

النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۝ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (البروج :٨) فهرب أحد هؤلاء المضطهدين من القتل وهو (دوس ذو ثعلبان) وذهب إلى قيصر الروم وناشده النصر للتخلص من ذى نواس وجنوده. وبالتأكيد فإن الملوك لا يشنون حربًا للتعاطف أو نشر العدل، وإن كانت الأسباب الدينية هى الظاهرة على السطح إلا أن الأسباب التجارية كانت هى الدافع الحقيقى لموافقة القيصر والنجاشى على غزو اليمن. فقد كانت تجارة الروم تتعرض للخطر أثناء اجتيازهم لليمن، حتى قتل بعض الروم أثناء مرورهم بتجارتهم من الهند. ومن جانب الحبشة كان الحميريون يناوشون تجارة الحبشة ولذلك سعت الحبشة لتأديب الحِمْيَريين.

وهكذا حدث التقارب بين مصالح البيزنطيين والأحباش لغزو اليمن فى عام ٥٢٥م . وهو الغزو الحبشى الثانى لليمن.

ولذلك فإن القيصر أجاب «دوس ذو ثعلبان» أن بلاد اليمن بعيدة. ولكنى سوف أكتب لملك الحبشة لنصرتكم. وفعل قيصر وأرسل إلى النجاشى الذى أمر أحد قواده (إرياط) فى سبعين ألف مقاتل وكان بين الجنود أبرهه بن

الصباح (أبرهه الأشرم)، وأمر النجاشى إرياط أن يقتل ثلث الرجال، ويخرب ثلث الديار ويبعث إليه بثلث النساء. ولما وصلت قوات إرياط إلى اليمن قاتلت ذا نواس قتالاً شديدًا وانتصرت عليه، حتى أن ذا نواس ركض بفرسه فى البحر وفضل الموت غرقًا على الأسر خوفًا من العار.

تولى أبرهه اليمن

أقام إرياط بأرض اليمن يحكمها من قبل الحبشة وعاملاً من عمال النجاشى مدة عشرين سنة لا ينازعه فى حكمها أحد، حتى نازعه فى أمرها أحد جنوده «أبرهه». حتى تفرقت الحبشة عليهما؛ فريق مع إرياط وفريق مع أبرهه، وتواعدا على القتال رجل لرجل فمن فاز انضمت له جنود الأخر. ثم تقابلا وكان أبرهه قصيرًا سمينًا وخلفه حارس يحمى ظهره اسمه (عتود). ثم تقابلا وتبارزا فضربه إرياط ضربة بحربته وقعت على جبهة أبرهه فشرمت حاجبه وأنفه وعينه وشفته ومن هنا جاءت تسميته أبرهه الأشرم، فقام (عتود) فقتل إرياط. وتجمعت جند إرياط مع جند أبرهه تحت زعامة أبرهه ودانت له الحبشة باليمن. فلما علم نجاشى الحبشة ذلك غضب غضبًا شديدً وقال عدى على أميرى بغير أمرى، ثم حلف

بالمسيح ألا يدع أبرهه حتى يطأ بلاده؛ ويجز ناصيته، ويريق دمه.

فلما بلغ ذلك أبرهه جز ناصيته، وجعلها فى حق من العاج، وجعل من دمه فى قارورة، وملأ جرابًا من تراب اليمن. وأرسله إلى النجاشى ملك الحبشة مع هدايا كثيرة. وكتب إليه يعترف بعبوديته له، ويحلف على النصرانية أنه على طاعته وولائه له وأنه قد أبر يمين مليكه بإرسال ناصيته، ودمه، وتراب بلده وجاء فى رسالته للنجاشى (وليطفئ الملك عنى غضبه فقد أبررت يمينه وهو على سرير ملكه) فأعجب به النجاشى وصفح عنه. وكتب إلى أبرهه "أن أثبت بأرض اليمن حتى يأتيك أمرى. فأقام أبرهه باليمن ولما هلك أبرهه بعد حادثة الفيل - سيأتى ذكرها فيما بعد - تولى الحكم فى اليمن ابناه يكسوم ثم مسروق على التوالى إلا أنهما أساءا السيرة، فاستنجد" سيف بن ذى يزن" بقيصر الروم فرفض مساعدته لأن ملوك الحبشة نصارى مثل قيصر الروم، وسيف بن ذى يزن وأهله فى اليمن يهود، فاستنجد سيف بن ذى يزن بكسرى أنوشروان فوعده بالنصر إلا أنه انشغل بحرب الروم، فلما مات سيف بن ذى يزن، استنجد ابنه" معد يكرب" بكسرى فأرسل القائد (وهرز أصهبذ الديلم) على رأس جيش

لمحاربة الحبشة فى اليمن فانتصروا على الحبش وقتل مسروق بن أبرهه فى المعركة.

وتولى "معد يكرب" الحكم باليمن إلا إنه اتخذ عبيدًا من الحبش وثبوا عليه فقتلوه بعد أن ظل فى ملكه أربع سنين وكان آخر ملوك حِمْيَر فى اليمن. وتولى الفرس بعد ذلك حكم اليمن على يد" وهرز أصهبذ" من قبل كسرى" أنوشروان"، وقضوا على من بقى من الأحباش. وتناوب حكام الفرس على اليمن هناك، حتى دخل الإسلام اليمن على يد عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم. وتولىَ «معاذ بن جبل» اليمن موفدا من رسول الله.

تولى النجاشى حكم الحبشة:

لم تكن الحبشة مملكة واحدة على طول تاريخها ولكن حدثت هناك تغيرات سياسية عديدة. وكان ملك الحبشة يلقب بنجاشى النجاشية. ويحكم الحبشة من العاصمة أكسوم. وتذكرنا نجاشى النجاشية بتعبير ملك ملوك الحبشة أو شاه هنشاه، شىء من هذا القبيل. وكانت الحبشة مقسمة إلى عدة ولايات أو أقسام يتولى كل منها ملك يتبع لنجاشى النجاشية فى العاصمة أكسوم ولم ترد أية أخبار عن وصول المسلمين المهاجرين إلى العاصمة

أكسوم، ولكن أقصى ما وصلوا إليه هو إقليم النجاشى "أصحمه" ، وكان أصحمه حاكم الإقليم الساحلى"بحر نجش" [1] هو يمتد فى شمال هضبة الحبشة ويواجه ساحل تهامه. وهو بذلك من أقرب بلاد الحبشة إلى بلاد الحجاز. وهناك عدة روايات عن تولى النجاشى حكم الحبشة. والمستخلص من هذه الروايات، أن والد النجاشى أصحمه لم يكن له ولد غير أصحمه ولكنه كان لا يزال غلامًا حينما كبر والده وأوشك على الهلاك، ويورد القصة ابن هشام فى السيرة بقوله" فقد كان والد النجاشى ملكًا على قومه ولم يكن له ولد إلا النجاشى أصحمه، بينما كان للملك أخ له من صلبه إثنا عشر رجلاً، فأرادت الحبشة ان تحول الملك إلى أخيه ليظل ملكهم طويلا فى أسرتهم، ثم تداولت الحبشة الرأى بينها فقالوا: لو قتلنا والد أصحمه النجاشى وملكنا أخاه فإن له إثنا عشر رجلاً من صلبه فتوارثوا الملك لبقيت الحبشة عليهم دهرًا طويلاً لا يكون بينهم اختلاف.

فقاموا على والد النجاشى وقتلوه وملكوا أخاه إلا أن النجاشى أصحمه استطاع أن يتغلب على عمه بحكمته، فلما رأت الحبشة تغلبه على عمه خافوا على أنفسهم منه

(١) د. رجب محمد عبدالحليم.

لأنه يعلم أنهم قتلوا أباه، فكلموا عمه فيه ليقتله أو يخرجه من بلاد الحبشة، فقالوا له: قد رأينا مكان هذا الفتى منك، وقد عرفت أنا قتلنا أباه وجعلناك مكانه وإنا لا نأمن أن يملك علينا فيقتلنا، فإما أن نقتله، وإما أن تخرجه من بلادنا، فرد عليهم عمه قائلاً: ويحكم قتلتم أباه بالأمس وأقتله اليوم، بل أخرجه من بلادكم، فخرجوا به فأوقفوه فى السوق وباعوه لتاجر من التجار بستمائة درهم أو سبعمائة، حيث أخذه فى سفينة وانطلق به. فلما كان العشى خرج عمه يتمطر تحت سحابه من سحائب الخريف فأصابته صاعقة فقتلته. فانطلق الأحباش إلى ولده يولونهم الحكم، فإذا هم حمقى ليس فى أحدهم خير , فاضطرب أمر الحبشة. فقال بعضهم لبعض : تعلمون والله أن ملككم لا يصلح أمركم غيره الذى بعتم الغداه، فإن كان لكم بأمر الحبشة حاجه فادركوه قبل أن يذهب. فخرجوا فى طلبه فأدركوه وألبسوه التاج وأجلسوه على سريره وملكوه.

فقال التاجر: ردوا علىَّ مالى كما أخذتم منى غلامى.

فقالوا: لا نعطيك.

فقال التاجر: إذًا والله لأكلمنه. فمشى إلى أصحمه فكلمه وقال أيها الملك: إنى ابتعت غلامًا فقبض منى الذين

باعـوه ثمنه، ثم عـدوا على غـلامى فنزعـوه من يدى ولم يردوا على مـالى. فكان أول خبـر به من صـلابة حكمـه وعدله أن قال: لتردن عليه ماله أو لتجعلن يد غلامه فى يده فليذهبن به حيث شاء.

فقال أهل الحبشة: بل نعطيه مالاً فأعطوه إياه. لذلك كان النجاشى يقول حينما ورد عليه المسلمون وأرادت قريش أن تستردهما " ما أخذ الله منى الرشوة آفآخذ الرشوة حين رد على ملكى، وما أطاع الناس فى فأطيع الناس فيه[1]. وإن كان البيهقى يرى أن أبا النجاشى مات والنجاشى مازال غلامًا صغيرًا، فأوصى لأخيه حتى يبلغ ابنه قائلاً: إن اليك ملك قومى حتى يبلغ ابنى، فإذا بلغ فله الملك.

إلا أن أخاه رغب فى الملك فباع النجاشى لبعض التجار فأرسل الله على هذا الأخ صاعقة فمات، فجاءت الحبشة بالتاج فوضعوه على رأس النجاشى وملكوه. ولكنى أرى إن ما قيل حول هذا فى حاجة لتصور أكثر من حاجة لمراجعة تاريخية. وأعتقد أنه عندما تولى عم النجاشى الملك خلفًا لأخيه والد أصحمة. أرسل أصحمة إلى جزيرة العرب للعمل واكتساب الخبرة. ويمكن أيضًا أن يكون والد

(١) السيرة لابن هشام ج١، ص ٢٥٢.

أصحمه هو الذى أرسله ليتعلم فى جزيرة العرب. وهذا من عادة الملوك والسادات أن يرسلوا أبناءهم للتدريب والخبرة. فظل أصحمه بجزيرة العرب يرعى الغنم لرجل من بنى ضمرة فترة من الوقت، حتى هلك عمه، فجاءت الحبشة إلى أصحمه وهو عند صاحبه فى بنى ضُمرة وأخبروه بوفاة عمه وملكوه ووضعوا التاج على رأسه، وهو ما جعل النجاشى حينما بلغه نبأ انتصار رسول الله فى بدر يتذكر صباه عندما كان يرعى الغنم فى بنى ضمره كما سيأتى لاحقا.

ثانياً : تاريخ جزيرة العرب.

أما على الجانب الآخر فى جزيرة العرب فقد كانت هناك صراعات عديدة على من يتولى البيت (الكعبة المشرفة) إذ إن للبيت حرمته وقدسيته وشرفه، وتسعى كل قبيلة لتولى هذا الشرف بالإضافة لما قد يعود من منافع مادية وأدبية، ولكن هذه المنافع لم تكن الهدف الأوحد أو الأول لمن يسعى لتولى بيت الله الحرام، إذ كان أهل مكة يقدسون البيت ويعرفون له حرمته. وقصة الكعبة معروفة فبعد أن أحضر نبى الله إبراهيم زوجته هاجر وولده

إسـمـاعـيل إلى مكة، ولم يكن فى مكة يومـئـذ إلا قـبـيلة «جرهم»، وبعدما كبـر إسماعيل وتزوج أنجب اثنى عشـر رجلاً[1] هم: نابت، وقيذر، وأذبل، ومبشا، ومسمعا، وماشى، ودما، وآذر، وطيما، ويطور، ونبش، وقيذما.

وتتابعت على الكعبة وسيادة مكة قبائل مختلفة فبعد أن صار الأمـر لقبـيلة «جـرهم» ـ وهم أخوال ولد إسـمـاعـيل عليه السلام ـ قامت قبيلتا بنى بكر وخزاعة بقتال جرهم بعد أن بغوا بمكة وطردوهم من مكة.

وتولّى البيت غبشـان من خزاعة (فرع من القبيلة) دون بنى بكر بن عبد مناه، وقريش فى هذا الوقت قبيلة متفرقة تسكن أماكن متعددة.

وكـان آخـر مـن تولى البـيـت من خـزاعـه هو «حُليل بن حُبشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعى».

تولى ابن كِلاب أمر مكة:

ولا تذكر مكة فى ذلك الحين إلا ويذكر قصى بن كلاب، فهو شخصية مهمة جدًا فى حياة العرب فى تلك الفترة.

---

(١) المرجع: السيرة النبوية لابن هشام، المكتبة العالمية. بيروت من ص ١١٣.

وله تأثير كبير فى البناء السياسى والاجتماعى فى مكة قبل البعثة المحمدية. وقصى هو الجد الأكبر لسيدنا محمد، لأن قصى هو ابن كلاب بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر، وفهر هو قريش، أو أن فهر هو اسمه ولقبه قريش[1] ولكن يقال إن قريش هو النضر بن كنانه. وقد كان لجد قصى (مُرة بن كعب) ثلاثة أبناء ذكور هم كلاب، تيم، يقظه. وانجب كِلاب ولدين ذكور هما قُصى بن كِلاب، زهُرة بن كِلاب. وقصى" قُصى" طفوله سعيده فى مكة. فى حضن أبيه ورعاية أخيه زهرة بن كلاب، ثم مات كلاب. وبعد فترة قصيرة تزوجت أرملته فاطمة بنت سعد بن سيل (والدة قصى) من ربيعة بن حَرَام، وكان قد قدم مكة بعد وفاة كِلاب، وكان قصى طفلاً صغيرًا وشقيقة زُهرة رجلاً. وأخذت فاطمة ابنها "قصى" معها إلى بلاد زوجها ربيعه. وأقام زُهرة فى مكة، موطنه وموطن والده كلاب. وولدت فاطمة لربيعة ولدًا اسمه " رزاحا"، وشب قصى فى بيت زوج أمه وهو لا يعلم له أبًا سوى ربيعة. ثم تشاجر قصى مع رجل من "قضاعة" وتبادلا السباب، فعيره الرجل وقال لقصى: لست منا وانما انت فينا ملصق. وبهت قصى

(١) المرجع: السيرة النبوية لابن هشام، ص١.

وذهب إلى أمه ليسألها عن حقيقة الأمر فقالت له: يا بنى لقد صدق الرجل، إنك لست منهم، وكان رهطك خيرًا من رهطه، وآباؤك أشرف من آبائه، وإنما أنت قرشى، وأخوك "زهرة" وبنو عمك بمكة وهم جيران بيت الله الحرام. فقرر قصى ترك مقام أمه والتحق بقافلة ذاهبة إلى مكة ووصل مكة وأقام بها وسط أهله. وبعد فترة أراد قصى أن يتزوج ورغب فى زواج " حُبَّى بنت حُليل بن حُبشيه" وتقدم لها. ورغب حُليل فى زواج قصى من ابنته فزوجه؛ فولدت له حُبى أربعة ذكور هم عبد مناف و(اسمه المغيرة) وعبدالدار وعبد العزى وعبد قصى، وبنتين هما تخمر وبرة. وانتشر ولد قصى وكثر ماله وعظم شرفه بما حباه الله من شخصية فذة وقادرة على تأليف القلوب وسياسة الناس. ثم مات حماه حُليل بن حُبشيه، وكان قبل موته قد أوصى لقصى وقال له: أنت أولى بالبيت (الكعبة) وبأمر مكة من خزاعة. فرأى قصى أنه أولى بالكعبة وبامر مكة من خزاعة وبنى بكر وأن قريشا هى صريح ولد إسماعيل ابن إبراهيم وأعلاهم قامة وأن قريشا هى النخبة والخيار. وأن قريشا أولى بالبيت الذى أقامه جدهم إسماعيل مع أبيه إبرهيم. وتحدث قصى فى ذلك مع رجال من قريش وبنى كنانة ودعاهم إلى إخراج خزاعة وبنى بكر من مكة. فأجابه

قومه إلى ذلك. وأرسل إلى أخيه من أمه «رزاح بن ربيعة» وخرج رزاح لنصرة أخيه قصى وخرج مع رزاح إخوته حُن بن ربيعة ومحمود بن ربيعة وجلهمة بن ربيعه وهم من أم أخرى غير فاطمة أم قصى. ومعهم قومهم من «قضاعة» لنصرة قصى وقال رزاح فى إجابته قصى شعرًا:

لما أتى من قصى رسول فقال الرسول أجيبوا الخليلا

نهضنا إليه نقود الجياد ونطرح عنا الملول الثقيلا

وبذلك اجتمع لنصرة قصى قريش وكنانة وقضاعة. واستقوى بهم وبدء فى بسط نفوذه على مكة ومناسك الحج فى ذات العام. ولم ترض بالطبع خزاعة وبنى بكر بهذا، وعرفوا أن قصى لا بد أنه سيمنعهم من ولاية الحج هذا العام.

وكان لابد من الحرب. فالتقى الجمعان (بالأبطح)(١) وسالت الدماء من الجانبين خلال القتال الشديد. وكالعادة كانت المفاوضات بعد الحرب لحل مالم تحله الحرب. واتفق الطرفان على تحكيم رجل من العرب . فحكموا يعمر «بن عوف»، فقضى بينهم بأن قصيًا أولى بالكعبة وبأمر مكة من خزاعة. وأن كل دم أصابه قصى من خزاعة وبكر

(١) الأبطح: منطقة بمكة.

لا عقوبة عليه، وأن كل دم أصابته خزاعة وبنو بكر من قريش وكنانة وقضاعة ففيه الدية مؤداه، وأن يخلوا السبيل بين قصى والكعبة ومكة ففعلوا. وتولى قصى أمر البيت ومكة، وجمع قومه فى منازلهم وأصبح ملك مكة. وهو أول من أصاب ملكًا من بنى كعب بن لؤى.

فكانت إليه الحجابة [1] والسقاية[2] والرفادة[3] والندوة[4] واللواء[5]، فحاز شرف مكة كله، وقسم مكة بين قومه؛ فأنزل كلَ قوم من قريش منازلهم من مكة فسمته قريش: «مجمعًا» لما جمع من أمرها.

ويقول ابن اسحاق: فلما كبر قصى ورق عظمه، وكان عبد الدار ابنه البكر، وكان عبد مناف بن قصى قد شرف فى زمان أبيه وذهب كل مذهب. وكذلك تفوق عبدالعزى وعبد قصى. وكان من عادة العرب أن يخلف الابن الأكبر أباه فى شرفه، فقال قصى لولده عبد الدار: أما والله

(١) الحجابة : أن تكون عنده مفاتيح البيت

(٢) الرفادة: جمع الطعام وإطعام الحجيج بمكة

(٣) السقاية: سقاية الماء للحجيج

(٤) الندوة : هى الدار التى أسسها قصى وجعلها للرأى والمشورة وصارت بعده للعرب فيها يلتقون كلما احتاجوا للمشورة

(٥) اللواء: لواء الحرب وقرارها .

يابنى لألحقنك بالقوم وإن كانوا قد شرفوا عليك: لايدخل رجل منهم الكعبة حتى تكون أنت من تفتحها له، ولا يعقد لقريش لواء حربها إلا أنت بيديك، ولا يشرب أحد بمكة إلا من سقايتك، ولا يأكل أحد من أهل الموسم طعامًا إلا من طعامك، لا تقطع قريش أمرًا من أمورها إلا فى دارك، فأعطاه دار الندوة والحجابة واللواء والسقاية والرفادة، ومات قصى بن كلاب بعد حياة حافلة. واستمر أبناؤه فى القيام بدوره، وقسموا مكة لقومهم ولغير قومهم، ويبيعون الأرض لمن يريد الشراء والإقامة بمكة، وكان ذلك بالاتفاق مع قريش ليس بينهم اختلاف أو تنازع. ثم حدث نزاع بين أولاد عبد مناف بن قصى (عبد شمس - وهاشم[1]- المطلب - نوفل) وبين عمهم عبد الدار. وأجمعوا على ان يأخذوا ما بيد عمهم من شرف وأنهم أحق بهذا الشرف من عبد الدار وأبنائه. وتفرقت عند ذلك قريش. طائفة مع بنى عبد مناف على رأيهم يرون أنهم أحق بهذا الشرف من بنى عبد الدار لمكانتهم فى قومهم. وطائفة مع بنى عبدالدار يرون أن لا ينزع منهم ما كان قصى جاعله لهم. وكادت الحرب أن تشتعل بين أبناء العمومة لولا أن تداعوا

---

(١) اسمه الحقيقى (عمراً) ولقبه هاشم لأنه كان يهشم للحجاج . أى يوزع عليهم اللحم والمرق والفتة.

إلى الصلح. وتوصلوا إلى حل وسط بلغة عصرنا الحاضر تم الاتفاق على أن:

تكون السقاية والرفادة لبنى عبد مناف بن قصى وأن تكون الحجابة واللواء والندوة لبنى عبدالدار بن قصى كما كانت. وتراضى الفريقان على ذلك.

ثم ظهرت قدرات قريش التجارية ونجحت فى السيطرة على الشريان التجارى إلى بلاد الهند. واحتكرت تجارة الهند بفضل زعيمها هاشم بن عبد مناف، وقد أخذ هاشم الإيلاف (أى العهد) من قيصر الروم لحفظ تجارة العرب من قريش، كما أخذ أخوه عبد شمس العهد من صاحب الحبشة حيث كانت تجارته هناك . وهذا ما يوضح العلاقات التجارية بين العرب والحبشة قبل الإسلام، بينما أخذ عبد المطلب العهد (العصم) من ملوك اليمن، أما نوفل فقد أخذ العهد من ملوك العراق وكان عبد شمس بن عبد مناف محبًا للسفر والترحال لا يقيم كثيرًا بمكة، ولم يكن له مال كثير ويعول أبناءه . وهاشم أيضًا كان يسافر كثيرًا وفى أحد أسفاره للمدينة تزوج «سلمى بنت عمرو» فولدت له ولده «شيبة». وكان هاشم موسرًا يدعو قريش لتقديم الطعام والمساهمة بالمال فى إطعام حجاج بيت الله الحرام.

وكانت قريش تجيبه إلى ذلك كل امرئ بقدر ما عنده. فيصنع به هاشم طعامًا للحجاج وكذلك كان هاشم أول من سن الرحلتين لقريش رحلتى الشتاء والصيف، الشتاء إلى اليمن والصيف إلى الشام وكان هاشم هو كبير مكة وسيدها وخادم البيت .

وتوفى هاشم فى غزة وهى نفس المدينة الحالية بين مصر وفلسطين وكان تتبع بلاد الشام وهو فى رحلة تجارية له هناك، فولى السقاية والرفادة من بعده أخوه المطلب بن عبد مناف، وكان أصغر من عبد شمس و هاشم ، وكان المطلب ذا شرف فى قومه وفضل. وفى هذه الأثناء كان شيبة بن هاشم قد صار غلامًا بالمدينة، فلم يرض المطلب أن يترك ابن أخيه شيبة هناك بعد وفاة والده هاشم، فذهب للمدينة ليرجع بابن أخيه . ولكن سلمى بنت عمرو أم شيبة رفضت أن تدفع ابنها لعمه المطلب، فقال لهم المطلب: إنى غير منصرف حتى أخرج به معى إن ابن أخى قد بلغ، وهو غريب فى غير قومه، ونحن أهل بيت شرف فى قومنا. وقيل إن شيبه رفض أن يترك أمه حتى تأذن له، فأذنت له فعاد إلى مكة مع عمه المطلب على بعير . فلما رآهم الناس هكذا قالوا : "عبد المطلب" اشتراه

فقال المطلب : ويحكم إنما هو ابن أخى هاشم قدمت به من المدينة. وهذا هو سبب تسمية شيبة (عبد المطلب) ومرت الأيام وتوفى المطلب فى اليمن، وتوفى أخوه نوفل بن عبد مناف بأرض العراق. وولى عبد المطلب بن هاشم السقاية والرفادة بعد عمه المطلب بن عبد مناف.

وكان عبد المطلب أول من حفر بئر زمزم بعد أن كانت مطوية وقام بمعوله ومعه ابنه الحارث ببدء الحفر للكشف عن البئر مرة أخرى. وأقام لقومه ما كان آباؤه يقيمون قبله لقومهم، وشرف فى قومه شرفًا لم يبلغه أحد من آبائه. وأحبه قومه ووقروه ولعل هذا هو ما جعل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يقول «أنا النبى لاكذب أنا بن عبد المطلب"»وهكذا كان لعبد المطلب جد النبى أخوال فى المدينة وهم إخوة «سلمى» والده «شيبة» عبد المطلب بن هاشم.

عبد المطلب بن هاشم وزواج ابنه عبد الله:

وقد كان لعبد المطلب عشرة أبناء من الذكور[1] (الحارث، أبا طالب، أبا لهب، الزبير، حجلا، عبد الله

(١) المرجع: السيرة النبوية لابن هشام ، ص١، ص٢.

(والد سيدنا محمد)، المقوم ، ضرارًا، العباس، حمزة) وسبعة من الإناث هن: (صفية، أم حكيم، البيضاء، عاتكه، أميمة، أروى، برة).

فخرج عبد المطلب بولده عبد الله حتى أتى به" وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كِلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر" ـ وهو يومئذ سيد بنى زهرة نسبًا وشرفًا ـ فزوجه بإبنته " آمنة بنت وهب"، وهى يومئذ أفضل إمرأة فى قريش نسبًا ومكانة. فولدت آمنة لزوجها عبدالله ولده الوحيد سيدنا محمد (عليه الصلاة والسلام) فى يوم الاثنين ٦ ربيع الأول وبذلك يكون سيدنا محمد من أشرف قريش نسبًا فهو:

محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كِلاب بن مُرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النَّضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة (عمرو) بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد.

ويعود بعض الناسبين بنسب سيدنا محمد إلى نابت من ولد إسماعيل ابن سيدنا إبراهيم عليه السلام.

ولكن سيدنا محمدًا عندما كان يتحدث عن نسبه لم يتجاوز عدنان بن أدد[1]. وقد آثرت أن أوضح كل ما سبق حتى نكون على علم بكل الخلفيات السياسية والتجارية والاجتماعية سواء على جانب الحبشة أو على جانب مكة بالتحديد فى جزيرة العرب، حتى نكون على علم بالوضع القائم قبل مولد سيدنا محمد وفى حياته قبل نزول الوحى. وهذا أمر مهم فى توضيح خلفيات الأحداث التى سوف تحدث مع رسول الله ومع المسلمين فيما بعد هذا.

وبالمناسبة: فى السيرة لابن هشام أنه لم يتسم باسم محمد قبل رسول الله إلا ثلاثة هم :

١- محمد بن سفيان بن مجاشع.

٢- محمد بن أحيحة بن الجلاح.

٣- محمد بن حمران بن ربيعة.

كما أن علاقة العرب بالأحباش لم تبدأ مع حادثة الفيل ولكنها بدأت قبل ذلك بزمن. كما كان فى مكة سوق للعبيد

(١) اضطربت كلمة النسابين فيما بعد عدنان، حتى نراهم لايكادون يجمعون على جد حتى يختلفوا فيما فوقه، وقد حُكى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا انتسب لم يتجاوز فى نسبه عدنان بن أدد.

الأحباش وتجارة وعلاقات واستمر هذا الوضع الى العام الذى ولد فيه رسول الله عام الفيل الموافق ٥٧١ م.

حادثة الفيل

آثرت أن أبقى الحديث عن موضوع حادثة الفيل إلى ما بعد استعراض العلاقات السياسية والاقتصادية بين الأحباش والعرب، ذلك لأن تلك الحادثة كانت الاتصال المباشر والصدام الحقيقى بين الأحباش وأهل مكة، وهى آخر احتكاك فعلى قبل ظهور الإسلام، حيث ولد سيدنا محمد ﷺ فى عام الفيل. وبالتالى فإن هذا الحدث يستحق أن يدرس وحده لما له من عظيم الأثر سواء على جانب الأحباش أو على جانب أهل مكة إذ إختلف الأمر بعد هذه الحادثة عما كان قبله. ويقول ابن هشام فى السيرة النبوية: إن أبرهة بنى "القليس" بصنعاء, فبنى كنيسة لم ير مثلها فى زمانها بشىء من الأرض (وقيل إنه استعان بحجارة ومواد للبناء من قصر بلقيس[1] ثم كتب إلى النجاشى: -

إنى قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يبن مثلها لملك كان قبلك، ولست بمنته حتى أصرف إليها حج العرب فلما

(١) إضافة من المؤلف على النص الأصلى.

تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشي، غضب رجل من بنى فقيم بن عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة، فخرج ذلك الرجل الكنانى حتى أتى القليس فقعد فيها. وقال ابن هشام يعنى أحدث فيها. ثم خرج فلحق بأرضه، ووصل الخبر أبرهة.

فقال: من صنع هذا؟

فقيل له: صنع هذا رجل من العرب من أهل هذا البيت الذى تحج إليه العرب بمكة لما سمع قولك «أصرف إليها حج العرب» غضب لذلك فجاء فقعد فيها، أى أنها (يقصدون القليس) ليست لذلك بأهل. فغضب عند ذلك أبرهة وحلف ليسير إلى البيت حتى يهدمه ثم أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت، ثم سار وخرج معه الفيل، وسمعت بذلك العرب، فأعظموه وفزعوا به، ورأوا جهاده حقًا عليهم حين سمعوا بأنه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام. وخرج لقتال أبرهة رجل من أشراف أهل اليمن وملوكها يقال له" ذو نفر"، فدعا من قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة جهادة عن بيت الله الحرام، وما يراد من هدمه وإخرابه، فأجابه إلى ذلك من أجابه، ثم عرض لأبرهة فقاتله وانتصر أبرهة على ذى نفر واصحابه، وأخذ له ذو

نفر، فأتى به أسيرًا، فلما أراد أبرهه قتل أسيره ذا نفر قال له ذو نفر : أيها الملك لاتقتلني فإنه عسى أن يكون بقائي معك خيرًا لك من قتلي، فتركه من القتل وحبسه عنده في وثاق، وكان أبرهة رجلاً حليمًا. ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له، وانتصر أبرهة على كل من اعترض طريقه لمكة. مثل" نفيل بن حبيب" الذى هزمه أبرهة وأخذ له أسيرًا، فلما هم بقتله قال له نفيل: أيها الملك لا تقتلني فإني دليلك بأرض العرب ولك السمع والطاعة، فخلى سبيله وأخذه معه دليلاً. كما انتصر أبرهة على «مسعود بن معتب» من بني ثقيف، وأهل الطائف قالوا لأبرهه: أيها الملك إنما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون ليس عندنا لك خلاف، وليس بيتنا (يعنون اللات) هذا البيت الذى تريد، إنما تريد البيت الذى بمكة ونحن نبعث معك من يدلك عليه، فتجاوز أبرهه عنهم وبعثوا معه رجلاً يقال له "أبو رغال" يدله على الطريق إلى مكة فلما وصلوا "المغمس"[1] مات أبو رغال، فرجمت قبره العرب. ثم بعث أبرهة رجلاً من الحبشة على خيل له، حتى انتهى إلى مكة، فساق إليه أموال أهل تهامة من قريش وغيرهم وأصاب

(١) المغمس : موضع بطريق الطائف على مسافه قصيرة من مكة.

فيها مائتى بعير لعبد المطلب بن هاشم, وهو كبير قريش وسيدها, فهمت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بذلك الحرم من سائر الناس بقتال أبرهة ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به فتركوا ذلك.

وبعث أبرهه "حناطة الحميرى" إلى مكة وقال له: سل عن سيد أهل هذا البلد وشريفها ثم قل له: إن الملك يقول لك: إنى لم آتِ لحربكم، إنما جئت لهدم هذا البيت, فإن لم تعرضوا دونه بحرب، فلا حاجة لى بدمائكم, فإن هو لم يرد حربى فائتنى به. فلما دخل "حناطه" مكة سأل عن سيد قريش وشريفها؟ .

فقالوا له : عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى. فذهب حناطه إلى عبد المطلب وأبلغه ما أمره به أبرهة.

فقال له عبد المطلب: والله ما تريد حربه، ومالنا بذلك من طاقة هذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم، فإن يمنعه منه فهو بيته وحرمه، وإن يخل بينه وبينه. فوالله ما عندنا دفع عنه.

فقال له حناطة: فانطلق معى إليه، فإنه قد أمرنى أن آتيه بك فانطلق معه عبد المطلب، ومعه بعض بنيه حتى أتى

العسكر. فسأل عبدالمطلب" عن صديق له اسمه" ذى نفر", حتى دخل عليه وهو فى محبسه.

فقال عبد المطلب لذى نفر: ياذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا؟

فقال له ذو نفر: وما غناء رجل أسير بيد ملك ينتظر أن يقتله غدوًا أوعشيًا، ما عندنا غناء فى شىء مما نزل بك إلا أن" أنيس" سائس الفيل صديق لى، وسأرسل إليه فأوصيه بك، وأعظم عليه حقك, وأسأله أن يستأذن لك على الملك فتكلمه بما بدا لك ويشفع لك عنده بخير إن قدر على ذلك.

فقال عبد المطلب: حسبى!.

فبعث ذو نفر إلى أنيس وقال له: إن عبد المطلب سيد قريش وصاحب عير مكة، يطعم الناس بالسهل والوحوش فى رءوس الجبال، وقد أصاب له الملك مئتى بعير، فاستأذن له عليه وأنفعه عنده بما استطعت فقال له أنيس: أفعل!.

وكلم أنيس أبرهة فقال له: أيها الملك هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك, وهو صاحب عير مكة، وهو يطعم الناس فى السهل، والوحوش فى رءوس الجبال, فائذن له عليك فيكلمك فى حاجته، فأذن له أبرهه.

وكـان عـبـد المطلب أكـثـر الناس وسـامـة وأجـملهم وأعظمـهم، فلمـا رآه أبرهـه أجله وأعظمـه وأكرمـه عن أن يجلس تحته، وكره أن تراه الأحباش يجلس معه على سرير ملكه فنزل أبرهة عن سـريره، فـجلس على بسـاط، وأجلس عبد المطلب إلى جنبه.

ثم قال لترجمانه: قل لى ما حاجتك؟

فترجم له الترجمان فقال عبد المطلب: حاجتى أن يرد على الملك مئتى بعير أصابها لى . فلما قال الترجمان ذلك الكلام لأبرهة.

قال أبرهة: قد كنت أعجبتنى حين رأيتك، ثم قد زهدت فيك حـين كلمـتنى، أتكلمنى فى مئتى بعير أصـبتـها لك, وتترك بيتا هو دينك ودين أبائك وقد جئت لهدمه لاتكلمنى فيه؟

فـقـال عـبـد المطلب: إنى أنا رب الإبل، وإن للبـيت ربًا سيمنعه !

فقال أبرهه : ما كان ليمتنع (يقصد البيت) منى.

فـقـال عـبـد المطلب : أنت وذلك . ورد أبرهـة على عبدالمطلب الإبل التى أصابها له. فلما انصرف عبد المطلب

إلى قريش، أخبرهم الخبر وأمرهم بالخروج من مكة والتحرز[1] فى شعب الجبال والشعاب تخوفًا عليهم من شدة جيش أبرهة.

ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة، وقام معه نفر من قريش يدعون الله , ويستنصرونه على أبرهة وجنده، فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة:

اللهم إن العبد يمنع رحله فامنع حلالك[2] لا يغلبن صليبهم ومحالهم غدواً[3]محالك[4]. فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة، وهيأ فيله وعبأ جيشه. فلما وجهوا الفيل إلى مكة برك الفيل، وضربوه ليقوم فأبى، فضربوا رأسه بالطريزين[5] ليقوم فأبى. وأدخلوا عصًا فى دبره حتى أدموه ليقوم فأبى، فوجهوه راجعًا إلى اليمن، فقام يهرول. ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى مكة فبرك.

(١) التحرز: التمنع والاحتماء.
(٢) حلالك: جماع البيوت أو متاع البيوت.
(٣) غدوًا : غدًا.
(٤) المحال : القوة والشهوة.
(٥) الطريزين: آلة معقوفة من حديد.

فـأرسـل الله تعـالى عليـهـم طيـرًا من البـحـر أمـثـال الخطاطيف والبلسـان [١] مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها : حجر فى منقاره، وحجران فى رجليه فى حجم الحمص والعدس ولاتصيب منهم أحدًا إلا هلك وليس كلهم أصابت، وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذى جاءوا منه، فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون بكل مهلك على كل منهل، وأصيب أبرهة فى جسده، وخرجوا به معهم تسقط أنامله أنملة [٢] أنملة، كلما سقطت أنملة أتبعها منها صديد ترشح قيحًا ودمًا، حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر، حيث هلك.

فلما رد الله الأحباش عن مكة وأصابهم بما أصابهم به من النقمة، أعظمت العرب قريش وقالوا: هم أهل الله قاتل الله عنهم وكفاهم مئونة عدوهم.

وفى محاولات المؤرخين لتفسير ما حدث لجيش أبرهة من الطير الأبابيل، وما هو تأثير تلك الطيور وكيف أهلكت جيش أبرهة الأشرم فإنهم يربطون بين ما أصاب جيش أبرهة بسبب هذه الطيور الأبابيل وبين وباء تفشى فى

---

(١) البلسان: أنواع من الطير هو عصفور الجنة.

(٢) أنملة: طرف الإصبع.

جيشه مما كان فى هذه الكارثة، فقد أشارت بعض المصادر العربية إلى أن وباء الحصبة والجدرى أول ما عرف بأرض العرب فى عام الفيل، وقد تكون هذه الحجارة الصغيرة كما يرى الأستاذ " يوسف أحمد" فى كتابه" المحمل والحاج" نوعًا من الطين المختلط بذرات رملية بمقدار حبة العدس، حملتها الطيور من مناطق بها وباء الجدرى فى بلاد العرب أو فى غيرها، إلى مكان جيش أبرهة، فتساقطت عليهم هذه الحجارة وأدى ذلك إلى انتشار الوباء بين جنود أبرهة. ويعتمد الأستاذ يوسف أحمد فى هذا الظن على ما ذكره المؤرخ" بروكوبيوس" بظهور الجدرى فى بيلوز سنه ٥٤٤م، وفى القسطنطينة فى سنة ٥٦٩م وهو قريب من الوقت الذى ظهر فيه الوباء فى جيش أبرهة حول مكة.

وفى" الروض الآنف" حادثة الفيل كانت فى أول شهر المحرم سنه ٨٨٢ من تاريخ ذى القرنين. ولكن قبل الانتقال للموضوع القادم، هناك سؤال يلح فى ذهنى لم أجد له إجابة أثناء بحثى فى هذا الكتاب؟

هل النجاشى الذى كتب له القيصر لفتح اليمن وأرسل إرياط فى سبعين ألف مقاتل هو نفسه النجاشى أصحمه بن أبجر؟

اعتقادى الشخصى أن النجاشى الذى فتح اليمن عام ٥٢٥م ليس هو النجاشى أصحمه. وإن النجاشى الذى فتح اليمن هو نجاشى النجاشية وذلك للأسباب الآتية:

١ - عندما يرسل قيصر الروم إلى ملك آخر فإنه من الطبيعى أن يرسل إلى نجاشى النجاشية فى العاصمة أكسوم لغزو اليمن فى قوة قدرها سبعين ألف مقاتل. وليس إلى النجاشى أصحمه. ملك الإقليم الساحلى فقط.

٢ - لم يرد أى ذكر فى الروايات عن الملك النجاشى أصحمه ملكه لليمن. وليس من المعقول أن يرسل رسول الله صحابته إلى أصحمه الذى غزا عامله أبرهه مكة فى عام الفيل. وحاول هدم الكعبة بيت الله الحرام.

٣ - الفارق الزمنى الكبير بين فتح اليمن عام ٥٢٥ م وحادثة الفيل عام ٥٧١م أو ٥٧٠م وهذا الفارق وحده حوالى ٤٥ سنة ثم نزل الوحى على سيدنا محمد ﷺ وهو فى الأربعين من عمره . وهاجر المسلمون بعد خمس سنوات من نزول الوحى هذه أيضا ٤٥ سنة أخرى. فيصبح الفارق الزمنى بين غزو الحبشة لليمن وبين هجرة المسلمين للحبشة ٩٠ سنة. ثم أمضى المهاجرون ١٦ سنة فى الحبشة عند النجاشى فيصبح الفارق الزمنى بين غزو الحبشة

لليمن وعودة المهاجرين إلى المدينة بعد فتح خيبر ١٠٦ سنة بالإضافة لعام أخر حتى توفى النجاشى فيصبح المجموع ١٠٧سنة.

هذا وعند غزو الحبشة لليمن كان النجاشى ملكًا وليس مولودًا صغيرًا. أى أن الفرق الزمنى أكبر من ١٠٧ سنة. وهو ما يجعل من المستحيل تقريبًا أن يكون النجاشى الذى غزا اليمن فى عام ٥٢٥ م. هو نفس النجاشى أصحمه بن أبجر.

الفصل الثانى
الهجـــرة

عندما بدأ سيدنا محمد فى الدعوة لربه والإسلام، بدأ هذه الدعوة سرًا بين أهل بيته وأسرته. وبخلاف هؤلاء آمن بدعوته العديد من المستضعفين والعبيد، لأن الإسلام ساوى بين كل بنى الإنسان، وأصبحت التقوى والعمل الصالح هما مجال التميز بين الناس. وبالتأكيد لم تعجب هذه المبادئ الكفار الذين لا يؤمنون بالله ويقولون إن حياتنا هى الحياة الدنيا والفناء بعد الموت ولا ثواب ولا عقاب. كما لم تعجب هذه المبادئ المشركين الذين يشركون فى عبادة الله ويتخذون الأصنام للتعبد آلهة مع الله أو لتقربهم إلى الله. وبدأ الأذى يزداد من كفار مكة للمسلمين الأوائل،

فهذا "بلال بن رباح" يطرحه "أمية بن خلف الجمحى" على ظهره فى بطحاء مكة. ويضع الصخرة الكبيرة على صدره. ويقول أمية لبلال لا تزال هكذا حتى تموت، أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى ولايزيد بلال على قوله "أحد، أحد"، وظل هكذا حتى اشتراه أبوبكر الصديق وأعتقه، وفعل أبو بكر الأمر نفسه مع ستة أشخاص آخرين اشتراهم وأعتقهم لوجه الله وهم : عامر بن فهيره، وأم عبيس والهندية وابنتها، وزنيرة، وجارية بنت المؤمل. وكذلك عمار بن ياسر ووالده ووالدته، حيث كان أهلهم يعذبونهم فى صحراء مكة، ولا يملك أحد أن يدفع الضر عنهم ويمر بهم رسول الله فيقول لهم " صبرًا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة". وقتلت أم عمار وهى على الإسلام مصرة. والأمثلة كثيرة خلال خمس سنوات من دعوة الإسلام لحق الأذى بالمستضعفين من المسلمين الأوائل، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، ولكن أين المفر؟ وكيف نحفظ عقيدتنا وإيماننا بالله ورسوله.

وهنا أشار رسول الله ﷺ للمسلمين أن يهاجروا من مكة إلى الحبشة وقال لهم " لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكًا لا يُظلم عنده أحد، وهى أرض صدق، حتى يجعل الله لكم مخرجًا مما أنتم فيه" شهادة من رسول الله ﷺ

للملك النجاشى فهو ملك لا يُظلم عنده أحد. ما أعظمها من شهادة بعدل النجاشى وما أعلاه من شرف إذ تأتى هذه الشهادة من رسول الله ﷺ العدل نعم العدل وما أعلاه من قيمة، وما أحوجنا إليه فى كل حياتنا، فلو وضعنا فقط قيمة العدل فى أذهاننا بكل ما تحمل كلمة العدل من معنى وبكل ما فيها من أبعاد لكفتنا.

اختيار الرسول ﷺ للحبشة:

ولكن لماذا اختار سيدنا محمد ﷺ الحبشة دارًا للهجرة دون سواها؟

يوضح ذلك الأمر الأستاذ فتحى غيث فى كتابه "الإسلام والحبشة عبر التاريخ" ويجدر بنا أن ننتظر هنا برهة قصيرة، لكى نتأمل السبب الذى دعاه عليه الصلاة والسلام إلى اختيار الحبشة دون سواها لهجرة المسلمين، محمد ﷺ وصحبه يؤمنون ويدعون إلى عبادة الله ونبذ الوثنية وتحطيم الأصنام، وينادون فى الناس بالدين الحنيف الذى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وهم جماعة صغيرة فى مكة تنادى بهذا الأمر الخطير وسط محيط من القبائل التى تدين بالوثنية وتعبد الأصنام. لم يفكر

الرسول فى هذه المرحلة فى هجرة المسلمين إلى إحدى القبائل العربية لأنها كانت ترفض دعوته، وتعلن ذلك فى مواسم الحج مجاملة لقريش أو تمسكًا بدينها الوثنى. وكذلك لم يفكر الرسول فى الهجرة إلى مواطن أهل الكتاب من قبائل العرب الذين يعتنقون اليهودية والمسيحية لأن كلا الفريقين كان ينازع الآخر وينافسه فى النفوذ الأدبى والدينى ببلاد العرب، فهما والحالة هذه لايقبلان منافسًا ثالثًا خصوصًا إذا كان من العرب الذين يتعالون عليهم. وكذلك الحيرة التى كانت إلى ذلك الحين بعيدة جدًا عن مكة، أما الشام فهى أكثر بعدًا. ثم إن كلا من الحيرة والشام كانت أسواقًا مهمة لتجار قريش، ولقريش بها صلات وثيقة ومصالح متبادلة وزيارات فى أوقات منتظمة. والهجرة إليها غير مأمونة العواقب، فأين يذهب أصحاب الرسول إلا إلى بلاد ذلك الملك النصرانى، الذى يؤمن بالله وبكتابه ويتبع ما جاء به عيسى عليه السلام من هدى، وبمملكته " قسيسون ورهبان وأنهم لايستكبرون " كما إنها أرض صدق وبها ملك لا يظلم عنده أحد. إنها أفضل المتاح فى ذلك الوقت. ولا شك أن النجاشى صاحب تاريخ جعل رسول الله يفضله على من سواه ليأمنه على صحابته.

الهجرة الأولى:

وبدأت الهجرة للحبشة وكما ذكرت المراجع التاريخية[1] فقد كانت الهجرة فى شهر رجب فى العام الخامس للبعثة المحمدية" قبل الهجرة "، وتضمن الفوج الأول أحد عشر رجلاً وأربع نسوة استأجروا سفينة بنصف دينار للحبشة وهم: عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت سيدنا محمد، وأبو حذيفة وامرأته سهلة بنت سهيل، والزبير بن العوام، ومصعب بن عمير، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو سلمة بن عبد الأسد وزوجته أم سلمة بنت أبى أمية، وعثمان بن مظغون وعامر بن ربيعة العنزى وامرأته ليلى بنت أبى حثمة، وأبو سبرة بن أبى رهم، و سهيل بن بيضاء، وعبد الله بن مسعود حليف أبى زهرة. وكان خبر عثمان بن عفان[2] وزوجته رقية قد أبطأ على النبى ﷺ فقدمت امرأة من قريش فقالت: يا محمد ﷺ قد رأيت ختنك (نسيبك) ومعه امرأته.

فقال سيدنا محمد ﷺ: عل أى حال رأيتهما؟

قالت : رأيته قد حمل امرأته على حمار من هذه الدبابة وهو يسوقها.

(١) السيرة لابن هشام.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير.

فقال رسول الله ﷺ : صحبهما الله إن عثمان لأول من هاجر بأهله بعد لوط.

ثم تتابعت أفواج المهاجرين بعد ذلك إلى الحبشة فى عدة أفواج[1] حتى إن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قد استأذن رسول الله فى الهجرة فأذن له، فخرج مهاجرًا حتى إذا سار من مكة يومًا أو يومين، لقيه ابن الدغنة أخو بنى الحارث بن عبد مناة بن كنانه، وهو يومئذ سيد قومه، فطلب ابن الدغنة من أبى بكر أن يرجع عن هجرته ويدخل فى جواره، فاستجاب أبو بكر لذلك ثم عاد فرد عليه جواره، لأن كفار قريش شكوه لابن الدغنه لأنه كان لأبى بكر رضى الله عنه مسجد عند باب داره فى بنى جُمح يصلى فيه ويقرأ القرآن، وكان أبو بكر رجلاً رقيقًا إذا قرأ القرآن استبكى، فيقف على بابه الصبيان والعبيد والنساء يعجبون من ذلك، فقال له ابن الدغنة: يا أبا بكر إنى لم أجرك لتؤذى قومك إنهم كرهوا مكانك الذى أنت فيه. وتأذوا بذلك منك. فأدخل بيتك فاصنع فيه ما أحببت.

قال أبو بكر: أو أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله؟

---

(١) رأى المؤلف.

قال ابن الدغنة: فاردد على جوارى. فرده عليه وتحمل أبوبكر أذى سفهاء مكة.

ولم تتوقف هجرة المسلمين للحبشة، فوج صغير يتبعه فوج آخر، والنبى ﷺ فى مكة يلاقى ما يلاقيه من المشركين. وكان الصبر سلاحه والحق عدته، والإيمان قلبه، والله راعيه. وبلغ المهاجرون بالحبشة خبر مكذوب عن سجود قريش وأهل مكة مع رسول الله ﷺ عند قراءته سورة «النجم». وسجود قريش مع رسول الله فسره المفسرون عدة تفسيرات؛ فمنهم من قال إن هذا خبر مكذوب وإن الرسول لم يقل هذا، ومنهم من قال إن قصة الغرانيق ألقاها الشيطان فى آذان المشركين، ومنهم من قال إن قريشًا سجدت فعلاً مع النبى من جلال قراءة رسول الله ﷺ للقرآن الكريم البليغ والمعجز. وكما ذكر البيهقى فى دلائل النبوة أن خروجهم كان مرتين قبل خروج جعفر بن أبى طالب والمرة الثانية مع جعفر بن أبى طالب، " ثم رجع الذين خرجوا المرة الأولى قبل خروج جعفر وأصحابه حين أنزل الله عز وجل سورة «النجم»، وكان المشركون يقولون لو كان هذا الرجل يذكر آلهتنا بخير أقررناه وأصحابه، ولكنه لا يذكر من خالف دينه من اليهود والنصارى بمثل ما يذكر به آلهتنا من الشتم والشر، وكان

رسول الله ﷺ قد اشتد عليه ما ناله هو وأصحابه من أذاهم وتكذيبهم، وأحزنه ضلالهم وكان يتمنى هداهم، فلما أنزل الله عز وجل سورة النجم قال " أفرأيتم اللات والعزى ومناه الثالثة الأخرى" النجم. ألقى الشيطان على سمع المشركين من سجعه وفتنته (وأنهم الغرانيق العلا وإن شفاعتهم لهى التى ترتجى) فقال المشركون إن محمدًا رجع عن دينه واستبشروا بها، فلما بلغ الرسول آخر سورة النجم سجد، وسجد كل من حضر من مسلم أو مشرك، وحتى الوليد بن المغيرة ملأ كفيه ترابًا وسجد عليهما لكبر سنه.

العودة

ولكن هذا الأمر عند نقله للمهاجرين إلى الحبشة، تم نقله بصورة أخرى وهى إن كل مكة وقريش قد أسلموا وسجدوا مع النبى، فاستبشر المهاجرون خيرًا، وقرروا العودة لمكة، فلماذا البقاء إذًا وكل مكة قد آمن وأسلم؟. إنها العودة إلى مكة وسريعًا. وعندما كانوا بالقرب من مكة عرفوا أن ما بلغهم عن سجود قريش مع الرسول ﷺ ليس صحيحًا ووجدوا المسلمين بمكة على ما كانوا عليه مع قريش من الصبر على أذاهم، وقالوا قد وصلنا لندخل لنرى. ودخلوا مكة بعضهم مختفيًا وبعضهم بالجوار. وكما

سبق كانت بداية الهجرة فى رجب من العام الخامس للبعثة المحمدية، وكان المهاجرون قد أمضوا فى الهجرة بقية رجب وشعبان ورمضان وعادوا فى شهر شوال، وكانت سجدة النبى ﷺ فى رمضان [1] والحال هكذا فقد أشار الرسول على العائدين بالهجرة ثانية للحبشة، فعادوا وفى هذه المرة معهم جعفر بن أبى طالب. وهذا هو سبب ذكر ابن هشام للفوج الأول من المهاجرين ثم ذكرهم ثانية حينما ذكر جميع من هاجر للحبشة.

الهجرة الثانية

ويقول ابن سعد: [2] إنه لما قدم أصحاب النبى إلى مكة من الهجرة الأولى اشتد عليهم قومهم وسطت بهم عشائرهم ولقوا منهم أذى شديد، فأفادهم رسول الله ﷺ فى الخروج إلى أرض الحبشة مرة ثانية، فكانت هجرتهم الثانية أعظم مشقة، ولقوا من قريش تعنيفًا شديدًا ونالوهم بالأذى، واشتد على قريش ما بلغهم من النجاشى من حسن جوارهم لهم، فقال عثمان بن عفان: يارسول الله هجرتنا الأولى وهذه الأخرى إلى النجاشى ولست معنا؟

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ، دار بيروت ، جـ١ ص ٢٠٦.
(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ، دارالتحرير، جـ١ ص ١٩١.

فقال رسول الله ﷺ: "أنتم مهاجرون إلى الله وإلى، لكم هاتان الهجرتان جميعًا "

قال عثمان: فحسبنا يا رسول الله.

فخرجوا جميعًا إلى الحبشة وهم نحو اثنين وثمانين رجلاً غير النساء والأبناء

المهاجرون:

ولكن المراجع التاريخية لا تتفق فى موضوع الهجرة للحبشة هل كانت مجموعة واحدة، أم مجموعتين. فعلى سبيل المثال فإن ابن سيد الناس اليعمرى فى كتابه" عيون الأثر" إن الهجرة إلى أرض الحبشة مرتان، فكان المهاجرون فى المرة الأولى اثنى عشر رجلاً وأربع نسوة، ثم رجعوا عندما بلغهم عن المشركين سجودهم مع رسول الله ﷺ عند قراءة سورة «النجم». فلقوا من المشركين أشد مما عهدوا فهاجروا ثانية وكانوا ثلاثة وثمانين رجلاً، إن كان فيهم عمار بن ياسر ففيه خلاف بين أهل النقل، وثمانى عشر امرأة، إحدى عشرة قرشيات وسبع من غرائب النساء. وذكر ابن سيد الناس: إن قريشًا بعثت فى أثرهم إلى النجاشى مرتين، الأولى عقب هجرتهم، والثانية عقب

وقعة بدر، وكان عمرو بن العاص رسولاً فى المرتين ومعه فى أحدهما عمارة بن الوليد، وفى الأخرى عبدالله بن أبى ربيعة من بنى مخزوم. ويرى هذا الرأى بعض المؤرخين الآخرين، بينما يرى ابن كثير وابن هشام أن الهجرة دفعة واحدة للنجاشى وأن وفد قريش قدم مرة واحدة بقيادة عمرو بن العاص ومعه عبدالله بن أبى ربيعة المخزومى، ويذكر ابن هشام أن هجرة المسلمين كانت هجرة واحدة على دفعات حتى بلغ عددهم ثلاثة وثمانين رجلاً سوى أبنائهم، وأعتقد أن ابن هشام قد أجمل المهاجرين لتتابع الهجرات، وقد قسمهم حسب القبائل التى ينتمون إليها وهم:

١- عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس ومعه امرأته رقية بنت رسول الله.

٢- أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ومعه امرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو حيث أنجبت له بالحبشة ولده محمد بن أبى حذيفة.

٣- الزبير بن العوام (من بنى أسد بن عبد العزى بن قصى) .

٤- مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن قصى.

٥- عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف (من بنى زهرة بن كلاب)

٦- أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال المخزومى ومعه امرأته أم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة المخزومية.

٧- عثمان بن مظعون بن حبيب (من بنى جمح)

٨- عامر بن ربيعة العنزى حليف آل خطاب وهو من بنى عدى بن كعب وامرأته ليلى بنت أبى حثمة بن حذافة بن غانم من بنى عدى بن كعب.

٩- أبو سبرة بن أبى رهم بن عبد العزى ويقال "إن من هاجر هو أبوحاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود.

١٠- سهيل بن بيضاء (سهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال بن الحرث) (من بنى الحرث بن فهر) ويقول ابن هشام فيما بلغنى أن هؤلاء الرجال العشرة هم أول من هاجروا من المسلمين إلى أرض الحبشة، ثم تتابع المسلمون مهاجرين للحبشة ويستطرد ابن هشام ثم خرج من بنى هاشم عبد مناف.

١١- جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه ومعه امرأته أسماء بنت عميس الخثعمية ولدت بأرض الحبشة

عبد الله بن جعفر، ومن بنى أمية بن عبد شمس: ويذكر بن هشام مرة أخرى عثمان بن عفان ومعه امرأته رقية بنت رسول الله مما يدل على هجرة عثمان مرتين.

١٢- عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية ومعه امرأته فاطمة بنت صفوان بن أمية.

١٣- خالد بن سعيد بن العاص " أخو عمرو بن سعيد" ومعه امرأته أمينة (ويقال: همينة) بنت خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة الخزاعية. ولدت له بالحبشة ولدًا وبنتًا، الولد هو سعيد بن خالد والبنت "أمة بنت خالد بن سعيد بن العاص"، وهى التى تزوجها فيما بعد الزبير بن العوام وأنجبت له عمرًا وخالدًا ابنى الزبير ومن بنى أسد بن خزيمة (حلفاء بنى أمية بن عبد شمس).

١٤- عبدالله بن جحش بن رئاب من بنى غنم ابن داودان بن أسد.

١٥- عبيد الله بن جحش بن رئاب " أخو عبد الله بن جحش" وعبيدالله هو زوج رملة بنت أبى سفيان بن حرب، ولدت له ابنته حبيبة وبها كنيت " أم حبيبة".

١٦- قيس بن عبدالله من بنى أسد بن خزيمة ومعه امرأته بركة بنت يسار مولاة أبى سفيان.

١٧- معيقيب بن أبى فاطمة (وقال معيقيب بن دوس) وذكر أيضًا بن هشام من بنى عبد شمس بن عبد مناف:

١٨- أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة.

١٩- أبو موسى الأشعرى وهو عبد الله بن قيس حليف آل عتبة بن ربيعة.

ومن بنى نوفل بن عبد مناف :

٢٠- عتبة بن غزوان بن جابر من بنى حصفة بن قيس بن عيلان، حليف بنى نوفل.

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى:

ثم ذكر ابن هشام مرة أخرى الزبير بن العوام

٢١- الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد.

٢٢- الأسود بن نوفل بن خويلد.

٢٣- يزيد بن زمعة بن الاسود.

٢٤- عمرو بن أمية بن الحرث بن أسد.

ومن بنى "عبد" بن قصى:

٢٥- طليب بن عمير بن وهب بن" عبد" بن قصى بن كلاب.

ومن بنى عبد الدار بن قصى:

٢٦- مصعب بن عمير بن هاشم من بنى عبد الدار بن قصى.

٢٧- سويبط بن سعد بن حرملة.

٢٨- جهم بن قيس بن عبد شرحبيل ومعه امرأته أم حرملة بنت عبد الأسود الخزاعية وابناه: عمرو بن جهم، وخزيمه بن جهم.

٢٩- أبو الروم بن عمير بن هاشم بن عبد مناف.

٣٠- فراس بن النضر بن الحرث بن كلده.

ومن بنى زهرة بن كِلاب:

٣١- عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف.

٣٢- عامر بن أبى وقاص.

٣٣- مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة.

٣٤- المطلب بن أزهر بن عبد عوف ومعه امرأته رملة بنت أبى عوف بن ضيرة، وقد ولدت له بالحبشة عبدالله بن المطلب.

ومن حلفاء بنى زهرة من هزيل:

٣٥- عبد الله بن مسعود بن الحرث من بنى سعد بن هزيل.

٣٦- عتبة بن مسعود بن الحرث.

ومن بهراء:-

٣٧- المقداد بن عمرو بن ثعلبة وكان يقال له المقداد بن الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زُهرة.

ومن بنى تيم بن مرة بن كعب:

٣٨- الحرث بن خالد بن ضمر بن عامر من بنى سعد بن تيم، ومعه امرأته ريطه بنت الحرث ولدت له بالحبشة موسى، عائشة، زينب، وفاطمة.

٣٩- عمرو بن عثمان بن كعب بن سعد بن تيم.

ومن بنى مخزوم بن يقظة بن مرة :

٤٠- أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال المخزومى ومعه امرأته أم سلمة هند بنت أبى أمية بن المغيرة المخزومية وقد ولدت له بالحبشة زينب.

٤١- شماس بن عثمان بن عبد الشريد المخزومى.

٤٢- هبار بن سفيان بن عبد الأسد بن هلال المخزومى.

٤٣- عبد الله بن سفيان بن عبد الأسد.

٤٤- هشام بن أبى حذيفة بن المغيرة المخزومى.

٤٥- سلمة بن هشام بن المغيرة.

٤٦- عباس بن أبى ربيعة بن المغيرة.

ومن حلفاء بنى مخزوم:

٤٧- معتب بن عوف بن عامر الخزاعى.

ومن بنى جمح بن عمرو هصيص بن كعب:

٤٨- عثمان بن مظعون وابنه السائب بن عثمان.

٤٩- قدامة بن مظعون.

٥٠- عبدالله بن مظعون.

٥١- حاطب بن الحرث بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح ومعه زوجته وأبناؤهما محمد والحرث.

٥٢- خطاب بن الحرث ومعه امرأته فكيهة بنت يسار.

٥٣- وسفيان بن معمر بن حبيب بن وهب ومعه أمرأته "حُسنه" وولدهما جابر وجنادة وأخوهما من أمهما شرحبيل.

٥٤- عثمان بن ربيعة بن أهبان بن وهب.

ومن بنى سهم بن عمرو:

٥٥- خنيس بن حذافة بن قيس بن عدى.

٥٦- عبد الله بن الحرث بن قيس.

٥٧- هشام بن العاص بن وائل بن سعد بن سهم.

٥٨- قيس بن حذافة بن عدى.

٥٩- أبو قيس بن الحرث بن قيس.

٦٠- عبدالله بن حذافة بن قيس.

٦١- الحرث بن الحرث بن قيس.

٦٢- معمر بن الحرث.

٦٣- بشر بن الحرث.

٦٤- سعيد بن عمرو (أخو بشر بن الحرث من أمه).

٦٥- سعيد بن الحرث.

٦٦- السائب بن الحرث.

٦٧- عمير بن رئاب بن حذيفة.

٦٨- محميه بن الجزاء (حليف لهم من بنى زبيد).

ومن بنى عدى بن كعب:

٦٩- معمر بن عبد الله بن نضله بن عبد العزى بن حرثان

٧٠- عروة بن عبد العزى بن حرثان.

٧١- عدى بن نضله بن عبد العزى.

٧٢- النعمان بن عدى (ابن عدى بن نضله).

٧٣- عامر بن ربيعه (حليف لآل الخطاب) ومعه امرأته ليلى بنت أبى حثمه.

ومن بنى عامر بن لؤى:

٧٤- أبو سبره بن أبى رهم بن عبد العزى، ومعه امرأته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو بن عبد شمس.

٧٥- عبد الله بن مخرامة بن عبد العزى.

٧٦- عبدالله بن سهيل بن عمرو بن عبد شمس.

٧٧- سليط بن عمرو بن عبد شمس.

٧٨- السكران بن عمرو بن عبد شمس (أخو سليط) ومعه امرأته «سودة» بنت زمعه بن قيس بن عبد شمس" «تزوجها رسول الله بعد وفاه زوجها السكران بن عمرو".

٧٩- مالك بن زمعه بن قيس ومعه امرأته"عمرة "بنت السعدى .

٨٠- أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس.

٨١- سعد بن خولة (حليفهم من اليمن).

ومن بنى الحارث بن فهر:

٨٢- أبو عبيدة بن الجراح وهو «عامر بن عبد الله بن الجراح».

٨٣- سهيل بن بيضاء وهو «سهيل بن وهب بن ربيعة»

- عمرو بن أبى سرح بن ربيعة.
- عياض بن زهير بن أبى شداد.
- عمرو بن الحرث بن زهير.
- عمرو بن عبد غنم بن زهير.
- سعد بن عبد قيس بن لقيط بن عامر.
- الحرث بن عبد قيس بن لقيط بن عامر.

وإن كان معهم عمار بن ياسر ففيه خلاف بين المؤرخين. هل كان فى الهجرة الثانية أم لا. وأرجو أن نراجع أسماء المهاجرين ففيهم أمهات المؤمنين وأمير للمؤمنين ومبشرين بالجنة وعظماء من صحابة رسول الله. وهكذا اجتمع كل المهاجرين فى الحبشة عند الملك النجاشى بضعة وثمانين

رجلاً غير نسائهم وأولادهم فروا بدينهم من اضطهاد المشركين بمكة لعل الله يجعل لهم مخرجًا وفرجًا.

واستمر الحال على ما هو عليه فى مكة إلى أن بدأت الأمور تنفرج قليلاً. فقد أسلم رجلان عظيمان وكان لها أكبر الأثر فى تحويل دفه الصراع بين المؤمنين والمشركين.

هذان الرجلان هما : حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله وعمر بن الخطاب.

أولاً: إسلام حمزة بن عبد المطلب: (أسد الله):

فى السنة السادسة لهبوط الوحى على رسول الله ﷺ اشتد أذى المشركين لرسول الله حتى إن أبا جهل تطاول على رسول الله ﷺ وشتمه. وكان حمزة آنذاك فى رحلة صيد فلما عاد لمكة، بلغه ما فعل أبو جهل فاستشاط غضبًا وذهب إلى أبى جهل وضربه بقوسه فشج رأسه وقال له: أتشتم محمدًا وأنا على دينه؟ وبعد ذلك أعلن إسلامه بعد تفكير وإيمان بعيدًا عن العصبية القبلية، وجاهد وحارب المشركين حتى قتله «وحشى» فى غزوة أحد.

ثانيًا: إسلام عمر بن الخطاب:

وإن لم يكن هناك ارتباط مباشر بين إسلام حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما وبين موضوع الملك النجاشى إلا إننى ذكرت قصة إسلام حمزة وسأذكر قصة إسلام سيدنا عمر بن الخطاب لما أظهراه من نقاء نفسى وقوه إيمان على الحق وجهاد فى سبيل الله.

ولأن إسلامهما أيضًا من الأحداث المهمة على صعيد تطور الأحداث فى مكة.

وفى ذى الحجة من العام السادس لهبوط الوحى على رسول الله (قبل الهجرة للمدينة) وبعد ثلاثة أيام من إسلام سيدنا حمزة بن عبد المطلب[1] خرج عمر بن الخطاب حاملاً سيفه ليقتل رسول الله. فلقيه نعيم بن عبد الله فسأله عن وجهته.

فقال له عمر: أريد محمدًا هذا الصابئ الذى فرق أمر قريش وسفه أحلامها وعاب دينها وسب آلهتها فأقتله.

فقال نعيم: والله لقد غرتك نفسك عن نفسك يا عمر.

---

(١) ابن الجوزى. تاريخ عمر بن الخطاب ص١١.

أترى بنى عبد مناف تاركيك تمشى على الأرض وقد قتلت محمدًا. أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم.

فقال عمر: وأى أهل بيتى؟

فقال نعيم: ختنك وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو وأختك فاطمة بنت الخطاب. فقد والله أسلما وتبعا محمدًا على دينه. فرجع إلى أخته وختنه (نسيبه) وفاجأهما بقدومه وكانا يستمعان إلى سورة (طه) من "خباب بن الأرت" فأختبأ خباب، وفتحت أخته له باب الدار، فلما واجههما أنكرت فضربها حتى أدمى وجهها. وضرب ختنه سعيد بن الزبير وقعد على صدره, فلما رأت أخته عنفه معها ومع زوجها اعترفت بإسلامها وقالت له: اصنع ما بدا لك. فهدأ عمر وخجل مما فعله بهما، ثم طلب قراءة الصحيفة التى كانت معهما وفيها آيات من القرآن الكريم، إلا أن أخته رفضت إلا أن يتطهر، فتطهر ثم قرأ صدر سورة طه فقال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه.

فخرج له خباب وقال له: يا عمر إنى لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه، فإنى سمعته بالأمس يقول: " اللهم أيد الإسلام بأبى الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب" فالله الله يا عمر. فطلب منه عمر أن يدله على مكان

محمد فقال له الخباب : هو فى بيت عند الصفا فيه نفر من أصحابه فذهب إليه عمر حيث أعلن إسلامه. وسار فى الإسلام سيرة تعد نبراسًا للمؤمنين من بعده لا زلنا نستقى من رحيق سيرته العطرة حتى اليوم. وستظل سيرة الفاروق عمر بن الخطاب نموذجًا للأجيال القادمة لأنها تجربة إنسانية لا ترتبط بمكان أو زمان. وإن كان اعتناقه للإسلام قد أظهر جوهر وعظمة شخصية الفاروق والذى قال فيه رسول الله " إن الله عند قلب عمر ولسانه".

الفصـل الثالث

النجاشي بين المهاجرين وعمرو بن العاص

إجتمع شمل المهاجرين فى الحبشة بعد عودة الذين رجعوا لمكة وقد حدث ما حدث لهم بمكة. وأصبحت حياتهم بمكة شبه مستحيلة.

وانضم إليهم أبوموسى الأشعرى كما ذكر البخارى فى صحيحه. ومختصر الحديث" بلغنا مخرج النبى ونحن باليمن، فركبنا سفينة، فأقمنا معه حتى قدمنا فوافقنا النبى عليه الصلاة والسلام حين افتتح خيبر"

واستقر بهم الحال عند النجاشى فى خير حال مع خير جار. ولكن هل يسكت المشركون على ذلك؟ بالتأكيد لا!

فقد اجتمعوا واتفقوا على أن يرسلوا وفدًا للنجاشى بقيادة عمرو بن العاص ومعه عبد الله بن ربيعة المخزومى وقيل عمارة بن الوليد ويحملون للنجاشى هدايا كثيرة حتى يوافق على تسليم المهاجرين للمشركين بمكة الذين عز عليهم أن يفر المؤمنون من العذاب بمكة.

ولكن لندع أم المؤمنين "أم سلمة" تحكى لنا ما حدث وتقول [1] أم المؤمنين أم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة (رضى الله عنها): لما نزلنا أرض الحبشة، جاورنا خير جار النجاشى، أمنا على ديننا وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئًا نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشًا، ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشى رجلين منهم جلدين، وأن يهدوا للنجاشى هدايا مما يستظرف من متاع مكة. وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم [2]، فجمعوا له أدمًا كثيرة ولم يتركوا من بطارقته بطريقًا إلا أهدوا له هدية. ثم بعثوا بذلك عبدالله بن أبى ربيعة، وعمرو بن العاص، وأمرهما بأمرها، وقالوا لهما: ادفعا إلى كل بطريق هدية قبل أن تكلما النجاشى فيهم، ثم قدما إلى النجاشى هداياه، ثم

(١) السيرة لابن هشام ـ المجلد الأول، ص ٢٤٨-٢٥٠.
(٢) الأدم : الجلد.

اسـألاه أن يسلمهم إليكمـا قبل أن يكلمـهم. قالت فخـرجا حتى قدما على النجاشى، ونحن عنده بخير دار عند خير جار، فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلما النجاشى، وقالا لكل بطريق منهم: إنه قد ضوى[1] إلى بلد الملك منا غلمـان سـفهاء، فـارقوا دين قومـهم، ولم يدخلوا فى دينكم، وجـاءوا بدين مبـتدع، لا نعـرفـه نحن أو أنتم، وقـد بعـثنا إلى الملك فـيـهم أشـراف قومـهـم ليـردهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم، فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمـهم، فـإن قـومـهـم أعلى بهم عـيناً، وأعلـم بما عابوا عليهم.

فـقـالوا لهـمـا: نعم. ثم إنهـمـا قـدمـا هداياهـمـا إلى النجاشى فقبلها منهما ثم كلماه فقالا له: أيها الملك، إنه قدم إلى بلدك منا غلمـان سفهاء. فارقوا دين قومـهم، ولم يدخلوا فى دينك، وجاءوا بدين ابتدعوه ، لا نعرفه نحـن ولا أنت، وقـد بعـثنا إليك فـيـهم أشـراف قـومـهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إلينا، فهم أعلى بهم عينًا، وأعلم بما عـابوا عليهم وعاتبوهم فـيه، قـالت (أم سلمـة): ولم يكن شىء أبغض إلى عبد الله بن أبى ربيعة وعمرو بن

(١) ضوى: انضم.

العاص من أن يسمع كلامهم النجاشي، قالت : فقالت بطارقته حوله: صدقًا أيها الملك قومهم أعلى بهم عينًا، وأعلم بما عابوا عليهم فأسلمهم إليهما ليرداهما إلى بلادهما وقومهم، قالت: فغضب النجاشي ثم قال : لا والله، إذًا لا أسلمهم إليهما. ولا يكاد قوم جاوروني، ونزلوا بلادي، واختاروني، على من سواي، حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول[1] هذان في أمرهم فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما، ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما، وأحسنت جوارهما ما جاوروني. ثم دعا النجاشي أصحاب رسول الله إلى لقاء مع أساقفته، وقد أجلس النجاشي عمرو بن العاص على سريره[2] فلما جاء رسول النجاشي يدعوا المهاجرين للقائه إجتمعوا، ثم قال بعضهم لبعض ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟

قالوا: نقول والله ما علمنا وما أمرنا به نبينا كائنا في ذلك ما هو كائن. فلما جاءوا وقد دعا النجاشي أساقفته، فنشروا مصاحفهم حوله.

(١) تأمل موقف النجاشي.

(٢) دلائل النبوة ، المجلد الثاني ص٢٩٣.

وتحدث النجاشى إلى المسلمين فقال لهم: ما هذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا فى دينى ولا فى دين أحد من هذه الملل؟ قالت : فكان الذى كلمه جعفر بن أبى طالب.

فقال له: أيها الملك، كنا قوم جاهلية، نعبد الأصنام ونأكل الميتة، ونأتى الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسىء الجوار، ويأكل القوى منا الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفته، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاه والزكاة والصيام.

قالت : فعدد عليه أمور الإسلام فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء من الله, فعبدنا الله وحده لا نشرك به شيئًا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا وفتنوناعن ديننا؛ ليردونا إلى عبادة

الأوثان من عبادة الله تعالى وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك، ورغبنا فى جوارك، ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك.

فقال له النجاشى : هل معك مما جاء به عن الله شىء؟

فقال جعفر : نعم!

فقال النجاشى: فاقرأه على

قالت (أم سلمة) : فقرأ عليه صدرًا من «كهيعص» فبكى والله النجاشى حتى أخضلت لحيته، وبكى أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم.

ثم قال النجاشى: إن هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا، فوالله لا أسلمهم إليكما ولا يكادون.

قالت : فلما خرجا من عنده، قال عمرو بن العاص والله لآتينه غدًا عنهم بها استأصل به خضراءهم.

قالت: فقال له عبد الله بن أبى ربيعة، وكان أتقى الرجلين فينا لاتفعل، فإن لهم أرحامًا، وإن كانوا قد خالفونا.

قال عمرو بن العاص: والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عبد.

قالت: ثم غدا عليه الغد.

فقال عمرو: أيها الملك إنهم يقولون فى عيسى ابن مريم قولاً عظيمًا فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه.

فقالت: فأرسل إليهم ليسألهم عنه.

قالت: فلم ينزل بنا مثلها قط واجتمع القوم، ثم قال بعضهم لبعض: ماذا تقولون فى عيسى ابن مريم إذا سألكم عنه؟

قالوا (المسلمين المهاجرين): نقول والله، وما جاءنا به نبينا كائنًا فى ذلك ما هو كائن!

قالت: فلما دخلوا على النجاشى قال لهم: ماذا تقولون فى عيسى ابن مريم؟

فقال جعفر بن أبى طالب: نقول فيه الذى جاءنا به نبينا هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول.

قالت: فضرب النجاشى بيده إلى الأرض، فأخذ منها عودًا.

ثم قـال: والله مـا عـدا عـيـسى ابن مـريم مـا قلت هذا العود، قالت فتأخرت بطارقته حوله حين قال ما قال.

فـقـال النجـاشى: وإن نخـرتم والله، فـاذهـبـوا فـأنـتم شيوم بأرضى - والشيوم: الآمنون من سبكم غرم، ثم قال من سـبكم غـرم، مـا أحب أن لى دبراً من ذهـب، وإنى آذيـت رجـلاً منكم ردوا عليـهمـا هداياهـمـا فـلا حاجـه لى بهـا، فـوالله مـا أخـذ الله منى الرشـوة حـين رد علىَّ ملكى، فآخـذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس فى فأطيعكم فيه.

قالت : فخرجا من عنده (عمرو وصاحبه) مقبوحين مردودًا عليهما ما جاءا به، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار.

الله الله يانجاشى. أليس هذا الموقف هو ما نتحدث عنه الآن تحت مسمى حقوق الإنسان. وأولها حقه فى الاعتقاد والمأكل والملبس والمسكن وهو ما وفره النجاشى للمهاجرين، ثم حق الدفاع فى القضايا أو التهم التى توجه لأى شخص أو جماعة، وقد أتاحها النجاشى كاملة للمهاجرين إلى أن ثبـت براءتهم من أية إسـاءة فكان قـراره اذهبـوا فـأنتم الآمنون بأرضى.

ودرس آخر من دروس النجاشى للبشرية. ونموذج كيف يكون الإنسان - حاكمًا كان أو محكومًا - قدوة للحكمة والقضاء والإنسانية بغض النظر عن الجنسية أو الدين، وترفع عن قبول الهدايا لقضاء المصالح. هذا هو النجاشى وفى هذا الموقف يتجلى معدنه النفيس، وحكمته البالغة وعدله المستقيم وشهامة الرجل عندما يجير الضعيف.

فقد ظن عمرو بن العاص وصاحبه أن هداياه إلى النجاشى قد تجعل قلبه يميل إليهما، أو أن سعادته بما يُحب قد تُميل ميزان العدل فيه. ولكن هيهات، ليس مع النجاشى، يجوز مع بطارقته ومستشاريه ولكن الملك الإنسان الحكيم لا تذهب لبه هدايا، ولا يميل عقله إلا للمعقول، ولا يكون رأيه إلا مع الحق. فعندما طلب عمرو تسليم المهاجرين إليهم ليدفعوهم إلى المشركين بمكة، رفض النجاشى حتى يسمع دفاع المهاجرين وهكذا يكون القضاء؛ الحكم بعد الدفاع، ولم يأخذ كلام عمرو أمرًا مسلمًا به بل طلب سماع رأى المهاجرين وإن كان ما قاله عمرو صحيحًا سلمهم لعمرو، وإن لم يكن أسبل حمايته على المهاجرين إليه. ولعل فى قوله «قوم جاورونى، ونزلوا بلادى، واختارونى على من سواى» إيضاح لمدى شهامة النجاشى وأنه لا يتخلى عمن يلجأ إليه، وهكذا الملوك.

وعندما سمع النجاشى رد المهاجرين وقوة منطقهم وصدق ما يعتقدون، سألهم سؤالاً ذكيًا: هل معك مما جاء به عن الله شىء ليحكم بنفسه على صدق أنه بلغ نبيهم عن الله تعالى: فهو الملك المسيحى المتدين الذى يعرف الفرق بين الإدعاء وصدق النبوة.

وحدث للنجاشى وبطارقته ما يحدث للإنسان صافى القلب والعقل وسليم الوجدان عندما يستمع لكلام الله، فقد بكى حتى اخضلت لحيته، وقال مقالته الشهيرة «إن هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة». إذًا فقد أدرك النجاشى صدق دعوة رسول الله وأن هذا القرآن يأتيه من رب العزة وما هو بكذب ولا ادعاء بل هو الحق والهداية التى يرسلها الله لعباده ليهديهم سواء السبيل، كما أرسل من قبل رسلاً لهداية العباد، وبالطبع رفض النجاشى تسليم المهاجرين إلى عمرو وصاحبه. وحتى عندما حاول عمرو بدهائه المعروف أن يوقع بين النجاشى والمهاجرين بادعاء أن الدين الجديد يقول فى عيسى ابن مريم قولاً يخالف دين النجاشى لاستعداء النجاشى على المهاجرين. طلب النجاشى مرة أخرى استجلاء حقيقة الأمر، وعندما أيقن تقدير الإسلام للمسيحية ولعيسى ابن مريم رسول الله وروحه وكلمته إلى

العذراء مريم البتول قال كلمته التالية: والله ماعدا عيسى ابن مريم ما قلت (يعنى جعفر بن أبى طالب) هذا العود .

درس وحكمة فإن للأديان أساسًا واحدًا هو وحدانية الله، وفيما عدا ذلك يمكن أن يكون هناك خلاف فى طرق الصلاة والصوم والعبادات، ولكن الرسالة واحدة. وتقدير واحترام الرسل الآخرين فريضة، حتى وإن نخرت بطارقته، والآن حصحص الحق: اذهبوا فأنتم الآمنون بأرضى قالها النجاشى للمهاجرين، ورد هدايا عمرو.

ولكن دعونا نتخيل رجلاً آخر هو الملك وليس النجاشى، ملك ضيق الأفق، متعصب لدينه، عنيف، محب للمال والهدايا عديم الإنسانية والشهامة. وهناك ملوك بهذه الصفات أو بعضها على مدار التاريخ. فتصرف هذا الملك بخلاف ما تصرف به الملك النجاشى وآذى المهاجرين، بل وأسلمهم إلى عمرو بن العاص الذى سيسلمهم بالطبع إلى المشركين بمكة ليقتلوهم أو بأقل القليل ليعذبوهم، أو قتلهم الملك بنفسه فهل كانت ستتأثر دعوة الإسلام بذلك؟ سؤال افتراضى لنعرف الفرق أو الفروق، لنعرف ماذا يبنى وماذا يهدم ماذا ينفع وماذا يضر، ماذا يخرب وماذا يعمر، ماذا يرضى الله وماذا يغضبه.

إن المهاجرين الذين هاجروا للحبشة هم من المسلمين الأوائل الذين استجابت نفوسهم لدعوة الرسول لتوحيد الله، وهم من المجموعة النقية القابضة على دينها، وعلى استعداد لبذل الروح والنفس والمال فى سبيل دعوة الحق.

والله تعالى يجند لدعوته من الرجال من يساندها وتقوى به وتنتشر، مثل ما حدث عندما أسلم سيدنا عمر بن الخطاب فقويت به شوكة المسلمين، وعندما أسلم حمزة بن عبد المطلب الملقب «بأسد الله» حتى إن المسلمين لم يستطيعوا أن يصلوا عند الكعبة إلا بعد إسلام حمزة وعمر.

أقول هذا ليس بهدف أن دعوة الله تتوقف على إسلام فرد أو جماعة، ولكن لأن حركة التاريخ يحركها رجال ييسرهم الله ليقوموا بدورهم فى التاريخ فيتوجه التاريخ تلك الوجهة أو تلك، لأن التاريخ لا يتحرك وحده ولا يتحرك من فراغ أو فى فراغ، بل هو محصلة تفاعلات عدة من مواقف وظروف وأحداث ورجال وموقف زمانى ومكانى، ونحن عندما نبحث فى ذلك فإننا لا نتدخل فى حكمة الله وأزلية معرفته، ولكننا نبحث بقدر بشريتنا عن محركات التاريخ لنأخذ العبرة والمثل. ولو قلنا مع القائلين

بأن كل شيء مقدر ومكتوب دون جهد نبذله لبطل العمل والثواب والعقاب وحتى الكفر والإيمان، لأن الادعاء بأن كل شيء مقدر ومكتوب سيعطي حجة للمجرم والكافر لأنهما (المجرم والكافر) سيقولون إن الله كتب علينا هذا وما كنا نستطيع الفرار منه، فلماذا يحاسبنا الله ويدخلنا النار؟ ولماذا يحكم الناس علينا بالإدانة، أليس ذلك هو مصيرنا وقدرنا المحتوم. إذًا نحن نبحث فى الأسباب وعلاقتها بالنتائج ولا نبحث فى علم الله الذى لا نملك له من سبيل سوى ما يفيض به الله على رسله يكشف لهم بعضًا من علمه الأزلى.

ولذلك عندما نسأل. ماذا كان يمكن أن يحدث لو أن ملكًا آخر كان مكان النجاشى؟ فهو سؤال له ما يبرره، وباستعمال ما يسمى بمفهوم المخالفة لتوضيح الأمر. فقد أرسل رسول الله ﷺ صحابته وهاجرت ابنته رقية إلى الحبشة، حتى اجتمع بالحبشة بضعة وثمانون رجلاً غير نسائهم وأولادهم . وهذه المجموعة هى مجموعة أساسية من المسلمين الأوائل الذين حملوا لواء الدعوة فى بدايتها حيث هاجروا فى العام الخامس للدعوة النبوية أى فى الوقت الذى كان فيه المسلمون فئة قليلة مستضعفة، ولم تكن لهم قوة تمنعهم ولا شوكة تحميهم، وكان أى ضرر

تتعرض له هذه المجموعة بالتأكيد سيؤثر على الدعوة الإسلامية. وما حدث مع الرسل السابقين (بغض النظر عن طبيعة رسالتهم للهداية) خير دليل على ذلك. فلو لم يجند الله لرسالتهم من يحميها وينشرها فسوف تصبح مهمة الرسول صعبة وشاقة كما أخبرنا القرآن الكريم عمن سبق من الرسل. وما كُتب فى التوراة (العهد القديم) عن الرسل السابقين على الإسلام يوضح لأى مدى يتعرض النبى الرسول لمصاعب ومحن. كما أن هذه المجموعة المهاجرة قد نشرت الإسلام فى بلاد الحبشة وما جاورها، وكانت اللبنة الأولى لدخول الإسلام إلى إفريقيا.

وهناك نقطة مهمة لاتفوتنا فى هذا المقام وهى مانراه يحدث الآن من الثأر التاريخى بين الشعوب أو أصحاب الديانات المختلفة، ذلك أن الشعوب فى كثير من الأحيان تحمل فى طيات نفوسها ثأرًا تاريخيًا لشعوب أخرى قد تكون احتلتها أو أذلت شعبها فى الماضى وربما فى الماضى السحيق، بل إن حروبًا كثيرة قامت على نظرية الثأر التاريخى. أما من ناحية الثأر التاريخى على الجانب الدينى. فلا يزال بعض المسلمين يذكرون يهود بنى قريظة وخيانتهم عهدهم مع سيدنا محمد ﷺ ويقارنون ذلك بيهود اليوم.

واليهود أنفسهم لا يزالون يذكرون ما فعله هتلر فى الحرب العالمية بهم، بل وأسسوا دولتهم على دعوى أنهم مضطهدون فى العالم وضحايا النازية.

ولو كان الملك النجاشى آذى المسلمين الأوائل المهاجرين إليه فالله وحده يعلم ماذا كان يمكن أن يحدث على مدار التاريخ من حروب بين إفريقيا بوجه عام والحبشة بوجه خاص، وبين العرب المسلمين. إذ لا يمكن للمسلمين أن ينسوا ما حدث لأجدادهم فى الحبشة. وربما سعوا للثأر وسادت الحروب إفريقيا، وكلما دعونا للسلام يقول المتشددون: وهل نسيتم ثأركم فى إفريقيا وما فعلوه مع المسلمين الأوائل؟

ربما كان كل هذا لم يدر فى رأس النجاشى عندما اتخذ قراره بعدم تسليم المهاجرين إلى وفد قريش، ولكن الفطرة السليمة للرجل وحكمته وسعة صدره وإيمانه بالله والإنسانية كانت وراء تجنيب بلاده عداوة قد تستمر لقرون. وبعض تصرفات بعض الزعماء والقادة قد لا يفهمها الناس فى وقتها، ولكن بعد فترة تتضح مدى حكمة القائد وبعد نظره وفطنته. والنجاشى هو واحد من هؤلاء القادة القادرين بنفاذ بصيرة وصفاء قلب وقوة إيمان على التفرقة بين الغث والثمين، وبين الباطل والحق.

وعاش المهاجرون آمنين على أنفسهم وكانوا عند النجاشى بخير دار عند خير جار.

ثم أرسل رسول الله ﷺ خطابًا للنجاشى يخبره بأنه نبى الله ورسوله للناس أجمعين، وأنه يؤمن بما جاء به عيسى.
خطاب رسول الله للنجاشى ونصه :

«بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشى الأصحم ملك الحبشة. سلام عليك إنى أحمد إليك الله القدوس المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى فخلقه من روحه، ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه، وإنى أدعوك إلى الله وحده لاشريك له والموالاة على طاعته، وأن تتبعنى وتؤمن بى وبالذى جاءنى، فإنى رسول الله، وقد بعثت إليكم ابن عمى جعفر ومعه نفر من المسلمين فإذا جاءوك فأقرهم ودع التجبر فإنى أدعوك وجنودك إلى الله وقد بلغت ونصحت فأقبلوا نصيحتى والسلام على من اتبع الهدى".[1]

رسالة هادئة وحكيمة من نبى مرسل إلى ملك كريم مؤمن بالله وقد حمل الرسالة للنجاشى "عمرو بن أمية

(١) تاريخ الطبرى الجزء الثانى.

الضمرى" والذى كان دائما رسول النبى إلى النجاشى ملك الحبشة. وأعتقد[1] أن هذه الرسالة كان هدفها بناء علاقات سياسية ودينية مع النجاشى والحبشة وأن الهدف منها كان حث النجاشى على حماية المسلمين المهاجرين وتأكيد رعايته لهم. وكانت هذه الرسالة أولى الرسائل من رسول الله للنجاشى تلتها رسائل كلها تحمل التقدير والإحترام من سيدنا محمد ﷺ للملك النجاشى ومواقفه المساندة لرسول الله ﷺ وصحابته حتى إن رسول الله أرسل للنجاشى ليزوجه أم حبيبة كما سنذكر فى فصل خاص.

وبالتأكيد بطريقة أو بأخرى بلغت تصرفات وأقوال النجاشى مع وفد قريش بقيادة عمرو بن العاص إلى سيدنا محمد ﷺ فكتب الرسول الخطاب السابق ذكره للنجاشى.

وأتصور أن هذا الخطاب كان فى الفترة بعد رجوع المهاجرين للحبشة فى الهجرة الثانية وبعد زيارة عمرو بن العاص للنجاشى التى أخفق فيها فى أن يقنع النجاشى بتسليم المهاجرين إليه، وبين رجوع بعض المهاجرين لمكة حينما علموا بعزم رسول الله على الهجرة من مكة إلى المدينة وقد بنيت هذا الرأى على الأسباب الآتية:

---

(١) رأى المؤلف.

١ - صيغة الخطاب تختلف عن صيغ الخطابات التى أرسلها رسول الله ﷺ لقادة العالم فى هذا الوقت، والتى كانت نسخة واحدة تقريبًا عليها خاتم الرسول، حيث من الثابت تاريخيًا أن هذه الخطابات كانت دائما تحتوى على الآية الكريمة ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (٦٤ - آل عمران) وهى آية مدنية وبالتالى فإن الرسول لم يرسل هذه الخطابات من مكة وإنما من المدينة وهذه الخطابات تختلف عن الخطاب الأول للنجاشى.

٢ - كان هذا الخطاب بعد زيارة عمرو بن العاص وصحبه للنجاشى، ولو كان الخطاب قبل زيارة عمرو بن العاص فلابد أن يأتى ذكره فى حوار النجاشى مع عمرو بن العاص والمهاجرين. كان يمكن أن يقول النجاشى إن النبى قد أرسل له فى شأن المهاجرين، أو أن يذكر جعفر بن أبى طالب رسالة النبى للنجاشى، ولكن شيئًا من هذا لم يحدث وهذا دليل على أن رسالة النبى للنجاشى كانت بعد زيارة عمرو وليس قبلها.

٣ - من غير المعقول أن يكون رسول الله ﷺ قد أرسل الخطاب من المدينة لأن الفارق الزمنى بين الهجرة الثانية للمؤمنين وبين هجرة النبى إلى المدينة ثمانى سنوات، فلا يمكن أن يرسل النبى للنجاشى يحثه على العناية بجعفر بن أبى طالب والمهاجرين بعد أكثر من ثمانى سنوات

٤- قالت أم سلمة فى نهاية روايتها لما حدث بين النجاشى والخارجين عليه" فكنا عنده فى خير منزل، حتى قدمنا على رسول الله وهو بمكة" وهى العودة لمكة والتى عاد فيها ثلاثة وثلاثون من المهاجرين حينما بلغهم عزم رسول الله ﷺ الهجرة للمدينة. ولم يكن الرسول لينتظر حتى يعود حوالى نصف المهاجرين ثم يرسل للنجاشى فى النصف الآخر، بل المنطقى أنه أرسل للنجاشى بعد وصول بضعة وثمانين من المهاجرين للحبشة ومحاولة قريش استعادتهم، فأرسل له ليحثه على حماية المهاجرين إليه. واستجاب النجاشى لرسول الله ﷺ لأنه آمن بأنه مرسل من عند الله، مثله مثل سيدنا عيسى وسيدنا موسى. وقد أوردت كتب السيرة رد النجاشى على رسالة رسول الله ﷺ وهذا جواب النجاشى: -

«بسم الله الرحمن الرحيم إلى محمد رسول الله من النجاشى أصحمه، السلام عليك يانبى الله من الله رحمة الله وبركاته، فقد بلغنى كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت ثفروقًا، إنه كما قلت وقد عرفنا ما بعثت به إلينا، وقد قربنا ابن عمك وأصحابه، فأشهد أنك رسول الله صادقًا مصدقًا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك. يقصد جعفر بن أبى طالب. وأسلمت على يدية لله رب العالمين».

هكذا ورد رد النجاشى فى معظم كتب السيرة. رد كريم على رسالة كريمة من رسول الله.

إن رسالة النبى للنجاشى ورد النجاشى على رسالة النبى ﷺ درس فى أدب الحوار وكلام الكبار. الحسنى بالحسنى وأعتقد أن من يبادر بالحسنى لن يتلقى الرد إلا بالحسنى على الأقل فى أغلب الأحوال.

الفصل الرابع

النجاشي .. ومواقف أخرى

بالتأكيد فإن الموقف السابق للنجاشى من وفد قريش، وإحقاقه للحق ونصرة المهاجرين المسلمين وتأمينهم بأرضه لن يمر مرور الكرام من جانب مكة، فإن النجاشى خذل وفدها وأيد المسلمين.

أما فى الحبشة فقد كان الموقف أكثر تعقيدًا؛ فهذا هو ملكهم النجاشى المسيحى يأوى مهاجرين من دين جديد لايعلمون عنه شيئًا، ويدافع عنهم أمام وفد قريش الذين تربطهم بهم علاقات تجارية قديمة، ومصالح متبادلة، بل إنه ناقشهم فيما يقولون عن المسيح عيسى ابن مريم وقد يكون لهم رأى مخالف أو كما قال وفد قريش إن المسلمين

يقولون إن عيسى هو عبد من عباد الله، وبالتأكيد فإن فى كل دين متعصبين دائماً يسيئون الفهم ولا يقبلون أى رأى آخر ويعتبرون المخالفة للرأى بمثابة الكفر والعياذ بالله، لأن عقولهم مغلقة ونفوسهم متحجرة وهذا ما حدث مع الملك النجاشى.

خروج الحبشة على النجاشى:

بعدما انتصر النجاشى للحق ورفض تسليم المسلمين المهاجرين إلى وفد قريش، وقال لبطارقته الذين نخروا لرد النجاشى على عمرو بن العاص: " وإن نخرتم"، بدأت الحبشة تتحدث عن تغيير الملك النجاشى لعقيدته الدينية بل وإنه اعتنق دين المهاجرين للحبشة وبالتالى لايصلح ملكًا للبلاد المسيحية، أو أنه بأقل القليل قد فرط فى عقيدة سكان البلاد وهو أمر خطير جدًا من الناحية السياسية إذ قلّب عليه الناس. ووضعه فى موضع المدافع عن نفسه محاولاً أن يثبت للناس ورعيته أنه مازال على عقيدته وعقيدتهم، وهو موقف صعب على الإنسان العادى فما بالك بملك فى ذلك الزمان، ومع هؤلاء القوم فى الحبشة وحدث هذا منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام مضت، كان الله فى عونك يا نجاشى. وتقول أم المؤمنين (أم سلمة) كما

ورد حديثها فى سيرة ابن هشام وقد اجتمعت الحبشة فقالوا للنجاشى: إنك قد فارقت ديننا، وخرجوا عليه، فأرسل النجاشى إلى جعفر وأصحابه فهيأ لهم سفناً، وقال : اركبوا فيها وكونوا كما أنتم، فإن هُزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم، وإن ظفرت فاثبتوا.

ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه: هو يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، ويشهد أن عيسى ابن مريم عبده ورسوله وروحه، وكلمته ألقاها إلى مريم، ثم جعله فى قبائه عند المنكب الأيمن، وخرج إلى الحبشة وأصغوا له.

فقال : يا معشر الحبشة، ألست أحق الناس بكم؟

قالوا: بلى

قال : فكيف رأيتم سيرتى فيكم؟

قالوا: خير سيرة!

قال : فما بالكم؟

قالوا: فارقت ديننا، وزعمت أن عيسى عبد!

قال: فما تقولون أنتم فى عيسى؟

قالوا: نقول هو ابن الله!

فقال النجاشي، ووضع يده على صدره على قبائه: هو يشهد أن عيسى ابن مريم لم يزد على هذا شيئًا، وإنما يعنى ما كتب فرضوا وانصرفوا.[1] فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم. فلما مات النجاشى صلى عليه واستغفر له. العقل والحجة والمنطق والحكمة وحسن السيرة كانت أسلحة النجاشى فى هذا الموقف الدقيق، فإن كلمة واحدة تأتى فى المكان الخطأ تسبب كارثة، وكلمة واحدة مطلوبة فى مكانها الصحيح لا تقال تسبب أيضاً كارثة أو مروقًا عن الدين أو هرطقة.

هكذا عالج الملك الحكيم مواطنيه عندما ظنوا أنه فارق دينهم، لم يقل لهم أنا الملك ولى عليكم السمع والطاعة، ولم يحبسهم أو يعذبهم لأنه لو فعل لم يكن هو الملك النجاشى، بل عالج الأمر بتؤدة وبدأ بتذكيره الثائرين بحقه عليهم ثم سألهم عن تاريخه معهم وكيف كان يدير شئون البلاد والعباد فلما آنس منهم رشدًا وهدوءًا، سألهم: فما بالكم؟

واستمر فى الحديث مؤكدًا لهم أنه ما فارق دينهم ولا بدله ولكنه أضمر رأيه الشخصى على ما أعتقد، فليس كل

(١) السيرة لابن هشام.

مواطنيه أو رعيته بسعة أفقه ورحابة صدره ورجاحة عقله وأعتقد أن النجاشى قد فرق بين أمرين:

الأول : هو واجبه كملك نحو بلاده ورعيته.

الثـــانى: هو رأيه الشخصى وقناعته الشخصية، فلا يجب أن تطغى واحدة على الأخرى، فلا هو يترك حماية بلاده داخليًا وخارجيًا، ولا هو يترك قناعته الشخصية واقتناعه الفكرى فى سبيل كسب رضا وود رعيته، بل إنه احتفظ برأيه الشخصى لنفسه، ولم يعرض رأيه على رعيته لثقته بأنهم لن يفهموها جيدًا. والدليل على ذلك أن النجاشى الذى جاء بعد أصحمه، كان له رأى مخالف تمامًا للنجاشى أصحمه، بل إنه أرسل سفنه للإغارة على بلاد المسلمين فى عهد عمر بن الخطاب. ودلت تصرفات وأفعال وأقوال النجاشى بأنه يؤمن بأن سيدنا محمدﷺ رسول من عند الله، ما أتى به وما أتى به عيسى ابن مريم يخرج من مشكاة واحدة، وأنه لاداعى لرفضه أو حربه لمجرد أنه أتى بدين جديد، بل إن كل دين سماوى يقود إلى وحدانية الله، وعبادة رب الكون مع عدم تكفير أصحاب العقائد السماوية الأخرى، ويحض على مكارم الأخلاق

ونبذ المنكر من القول أو الفعل فهو دين جدير بالمساندة والتأييد.

من حق النجاشى كما هو من حق أى إنسان أن تكون له قناعته الشخصية وأن يضحى فى سبيلها، فما قيمة الحياة دون رأى أو فكر، وما قيمتها إذا كان كل ما يمكنك عمله هو أن تتبع الآخرين دون قناعة ودون حتى أن يسمح لك بالتفكير وإلا دخلت دائرة التكفير. وما أكثر المتبعين دون تفكير.

ولكن فى زمن النجاشى كان الأحباش بعيدين جداً عن هذا الفكر ورحابة الأفق وتتبدى حكمة النجاشى فى هذا الموقف فى إدراكه أنه هو الملك السياسى الذى يضع كل أمر فى مكانه وحجمه الصحيحين، فإن حماية تماسك البلاد وحسن إدارتها وتأليف قلوب رعيته أمر جدير بكل اهتمام، وهو عمله وحياته كملك أوكلت إليه الأمة قيادتها، وواجب عليه أن يؤدى حق الوطن كما ينبغى، وإلا يكون قد فرط فى أمانة الحكم وثقة شعبه، وأن يحفظ للوطن تماسكه وترابطه وأن يحميه من أية قلاقل قد تؤدى إلى نزاعات داخلية لا يعرف أحد إلى أين تنتهى أو إلى ماذا تُفضى.

بل إن واجب الملك أى ملك ألا يُضيع حق رعيته عليه فى صيانة عقيدتهم الدينية، وأن يحافظ على وحدة البلاد، فالمفترض فيه أن يحمى البلاد من أية تقلبات أو نزاعات طائفية أو عرقية قد تهدد أمن الجبهة الداخلية بمصطلحات العصر الحالى، ولذلك فقد تناول الموقف بذكاء السياسى وحنكته.

ولا يفوتنا ما فعله النجاشى قبل أن يناقش الثائرين عليه من أنه أرسل لجعفر بن أبى طالب وجهز للمهاجرين سفناً فإذا هزم ذهبوا بالسفن إلى حيث يشاءون.

هل هناك رجولة وشهامة أكثر من ذلك. إنه لم يعبأ بنفسه فقط، ولم ينصرف عقله إلى حماية عرشه ونفسه، بل إنه لا يزال يذكر وعده للمسلمين المهاجرين بأنهم الآمنون بأرضه ففعل ما يقتضيه الواجب؛ أمنهم أولاً قبل نفسه حتى إذا فشل فى احتواء الصراع والثورة عليه - وهو أمر وارد - لم يترك من وعدهم بالأمان فى مهب الريح فيكون قد أخلف وعده، ولكنه اهتم بتأمينهم أولاً قبل أن يذهب لمواجهة الثائرين عليه، وهذا درس آخر من النجاشى للبشرية فى كيفية الوفاء بالوعد وحماية المستجير قبل التفكير فى الذات، فقط لم يساند النجاشى الإسلام والمسلمين بالفم ولكنه ساندهم بالفعل والعزم.

خروج بعض الحبشة وقتالهم للنجاشي:

أطمأنت الحبشة على مليكهم وأنه لم يفارق دينهم، ولكن تلك القلاقل شجعت البعض على الخروج على النجاشي . ليس بالقول وحده ولكن بانقلاب عليه بالقوة المسلحة.

ماذا يفعل الملك النجاشي وهو يرى بعض رعيته يخرجون عليه ويودون انتزاع ملكه منه. ربما كان الخروج هذه المرة ليس لأسباب دينية فقط، ربما لأسباب سياسية أيضًا. ولكن الذى لا شك فيه أن الأسباب الدينية قد لا تكون بعيدة أيضًا لخروج بعض رعيته عليه، وربما اتخذها الخارجون تؤكة لإعلان العصيان.

والحقيقة إن المراجع الدينية والتاريخية الإسلامية لم تذكر أسباب الخروج ربما لعدم علم المسلمين المهاجرين بها، وربما لأنها سياسية داخلية فى بلاد الحبشة، ولكن الحقيقة هى أن أسباب الخروج على النجاشى هى مزيج بين الأسباب الدينية والسياسية، فهو حاكم عادل متفتح الذهن متقد الروح واسع الصدر والحكمة، وهذه الصفات قد لاتعجب البعض الذين يريدون الحكم بالحديد والنار. وتروى لنا أم سلمة قصة هذا

الخروج على النجاشى فقالت : فوالله إنا لعلى ذلك، إذ نزل به رجل من الحبشة ينازعه فى ملكه.

قالت: فوالله ما علمنا حزنًا قط كان أشد علينا من حزن حزناه عن ذلك، تخوفًا أن يظهر ذلك الرجل على النجاشى، فيأتى رجل لايعرف من حقنا ما كان النجاشى يعرفه منه.

قالت: وسار إليه النجاشى، وبينهما عرض النيل، فقال أصحاب رسول الله: من رجل يخرج حتى يحضر وقيعة القوم ثم يأتينا بالخبر؟

قالت: فقال الزبير بن العوام. أنا!

قالوا: فأنت. وكان من أحدث القوم سنًا، فنفخوا له قربة فجعلها فى صدره ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التى بها ملتقى القوم، ثم انطلق حتى حضرهم.

قالت: فدعونا الله تعالى للنجاشى بالظهور على عدوه، والتمكين له فى بلاده. فوالله إنا لعلى ذلك متوقعون لما هو كائن، إذ طلع الزبير وهو يسعى، فلمع بثوبه وهو يقول ألا أبشروا، فقد ظفر النجاشى، وأهلك الله عدوه ومكن له فى بلاده.

قالت أم سلمة: فوالله ما علمنا فرحة فرحنا قط مثلها.

وقالت: ورجع النجاشى وقد أهلك الله عدوه ومكن له فى بلاده، واستوسق[1] عليه أمر الحبشة فكنا عنده فى خير منزل، حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة.[2]

انتصر النجاشى على عدوه، وقمع الخارجين عليه. ووطد لنفسه فى البلاد. وهكذا الحاكم الملك يستطيع دائمًا أن يحمى بلاده وعرشه ونفسه لمصلحة البلاد، لأن حماية العرش والنفس فى هذه الحالة هى حماية للبلاد أيضًا. ونرى فى العصر الحاضر كيف حال البلاد التى تقوم فيها كل بضعة أشهر انقلابات عسكرية أو صراعات على السلطة أو تقلب الحكومات سريعًا مما لا يتيح أية فرص لتنمية حقيقة أو استثمار أو عمل جاد.

إن ضعف الملك أو الحاكم أو توليه بصورة غير شرعية يفتح الباب لكل طامع أو طامح للانقلاب على الملك للوصول للسلطة وهو ما يفتح الباب للقلاقل السياسية التى لا تبقى ولا تذر. وهى فى كل الأحوال ليست فى

---

(١) استوسق: تتابع واستمر. وفى سائر الأصول «إستوثق».

(٢) سيرة ابن هشام.

مصلحة البلاد والعباد. حمى الملك النجاشى بلاده وهذا واجبه كملك أن يحمى بلاده ورعيته، وحفظ قناعته الشخصية وإيمانه بأن سيدنا محمد ﷺ نبى مرسل وهذا حقه.

عودة بعض المهاجرين لمكة:

أقام المهاجرون عند النجاشى بخير دار مع خير جار فقد انتصر النجاشى على الخارجين عليه وهدأت البلاد. وشعر المهاجرون بالأمن والأمان فقد أحبط الله كيد الكائدين.

وفى هذه الأثناء كان المسلمون فى مكة فى محنة حقًا. فمع تزايد أعداد من يدخل فى الإسلام وانتشار دعوة رسول الله ﷺ وإسلام بعض رموز مكة زاد اضطهاد المشركين للمؤمنين، حتى أذن الله للرسول ﷺ والمؤمنين بالهجرة إلى المدينة، ولما انتشر خبر هجرة المسلمين للمدينة وصل هذا الخبر للمهاجرين بالحبشة فقرر بعضهم الرجوع إلى مكة للهجرة مع الرسول للمدينة، أليست أرض الله واسعة فليتركوا مكة ويذهبوا للمدينة، كما تركوا مكة وهاجروا للحبشة، ويذكر ابن هشام من

عادوا من الحبشة إلى مكة " فكان ممن قدم عليه - يقصد على سيدنا محمد ﷺ - مكة منهم فأقام من أقام بها حتى هاجر إلى المدينة، فشهد معه بدرًا ومن حبس بمكة حتى فاتته بدر وغيرها، ومن مات بمكة منهم ومن ظل بمكة حتى فتح رسول الله ﷺ مكة. هذا وبينما رجع بعضهم إلى الحبشة، ومات بعضهم بالحبشة حتى عادت آخر مجموعة مع جعفر بن أبى طالب بعد فتح خيبر، ويذكرهم جميعًا ابن هشام وعددهم ثلاثة وثلاثون رجلاً عدا نسائهم وأبنائهم وهم كما ذكرهم ابن هشام فى السيرة:

- عثمان بن عفان بن أبى العاص ومعه امرأته رقية بنت رسول الله.
- أبوحذيفة بن عتبة بن ربيعة وامرأته سهلة بنت سبيل.
- عبدالله بن جحش بن رئاب.
- عتبة بن غزوان.
- الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد.
- مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف.
- سويبط بن سعد بن حرملة.
- طليب بن عمير بن وهب.

- عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف.
- الحارث بن زهرة.
- المقداد بن عمرو.
- عبد الله بن مسعود.
- أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال ومعه امرأته أم سلمة بنت أمية بن المغيرة.
- شماس بن الشريد.
- سلمة بن هشام بن المغيرة.
- عباس بن أبي ربيعة بن المغيرة.
- عمار بن ياسر - «يشك بن هشام فى خروجه، خرج أم لا»
- معتب بن عوف بن عامر من خزاعة.
- عثمان بن مظعون بن حبيب وابنه السائب بن عثمان.
- قدامة بن مظعون.
- عبد الله بن مظعون.
- خنيس بن حذافة بن قيس.
- هشام بن العاص بن وائل.

- عامر بن ربيعة وامرأته.
- عبد الله بن مخزمة بن عبد العزى.
- عبد الله بن سهيل بن عمرو.
- أبو سبرة بن أبى رهم بن عبد العزى. ومعه امرأته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو.
- السكران[1] بن عمرو بن عبد شمس ومعه امرأته سودة بنت زمعة.
- سعد بن خولة.
- أبو عبيدة بن الجراح وهو (عامر بن عبد الله بن الجراح)
- عمرو بن الحارث بن زهير.
- سهيل بن بيضاء.
- عمرو بن أبى سرح بن ربيعة بن هلال.

فجميع من قدم عليه مكة من أصحابه من أرض الحبشة ثلاثة وثلاثون رجلاً.

---

(١) بعد عودة السكران من الحبشة مات فى مكة قبل هجرة الرسول للمدينة. وبعد فترة تزوج الرسول من سودة بنت زمعة أرملة السكران بن عمرو. وكانت أول امرأة يتزوجها عليه الصلاة والسلام بعد وفاة زوجته خديجة بنت خويلد.

١. النجاشى وإحتفاله بانتصار النبى فى بدر.

نصر الله نبيه فى غزوة بدر الكبرى فى الجمعة ١٧ رمضان من العام الثانى للهجرة وثبت الله نبيه بالحق ونصره على المشركين.

فماذا فعل النجاشى؟

ذكر ابن كثير فى البداية والنهاية عن البيهقى فى «دلائل النبوة"»أنه عقب غزوة بدر الكبرى أرسل النجاشى ذات يوم إلى جعفر بن أبى طالب وأصحابه، فدخلوا عليه وهو فى بيت عليه خلقان ثياب جالس على التراب ، قال جعفر فأشفقنا منه حين رأيناه على تلك الحال، فلما رأى ما فى وجوهنا

قال : إنى أبشركم بما يسركم. إنه جاءنى من نحو أرضكم عين لى فأخبرنى أن الله قد نصر نبيه وأهلك عدوه وأسر فلان وفلان وقتل فلان فلان التقوا بواد يقال له «بدر» كثير الأراك كأنى أنظر إليه، كنت أرعى لسيدى رجلاً من بنى ضمره إبله. (١)

---

(١) عند البيهقى أن أبا النجاشى أصحمه مات، والنجاشى مازال غلامًا صغيرًا، فأوصى إلى أخيه حتى يبلغ ابنه قائلاً لأخيه إن إليك مُلكَ قومى حتى يبلغ ابنى، فإذا بلغ فله الملك، إلا أن أخاه رغب فى الملك فباع النجاشى لبعض التجار فأرسل الله على هذا الأخ صاعقة فمات فجاءت الحبشة بالتاج فوضعوه على رأس النجاشى وملكوه.

فقال له جعفر: مابالك جالسًا على التراب، ليس تحتك بساط وعليك هذه الأخلاط؟

قال النجاشي: إنا نجد فيما أنزل الله على عيسى أن حقًا على عباد الله أن يحدثوا تواضعًا عندما يحدث لهم من نعمة، فلما أحدث الله لى نصر نبيه أحدثت له هذا التواضع، إحتفالاً بالنصر ولكن على طريقة النجاشي، وجهه أخرى من وجوه النجاشي الجميلة. فهو فى ملكه يتابع ما يدور فى جزيرة العرب وفى مكة وفى المدينة، فلما أبلغه عينه فى المنطقة نصر رسول الله ﷺ، دعا صحابة رسول الله ليخرجوا معه ويشاركوه نشوة نصر رسول الله ﷺ.

ولم ينس أنه كان يرعى الإبل قرب «بدر»، ولكن كيف احتفل النجاشي بنصر رسول الله ﷺ. إنه لبس ثوبين وجلس على التراب حتى أن المهاجرين تعجبوا أن يروا الملك على تلك الحالة، فلما سألوه أجاب إن تعاليم عيسى عليه السلام التواضع عند النصر.

درس فى الأخلاق يلقيه النجاشي للبشرية، ويعلمنا جميعًا كيف ننتصر وكيف تتواضع نفوسنا عند النصر. لقد رأينا وكرهنا على مرار حياتنا أناسًا عندما ينتصروا أو عندما تصيبهم نعمة من النعم يزدادوا تعاليًا وغطرسة

وصلفاً وكأنهم يقولون «ياأرض اتهدى ما عليكى أدى» هكذا يفعل الصغار عندما تصيبهم نعمة أو نصر. ولكن هناك فارقًا كبيرًا بين انتصار الصغار وانتصار الكبار حقًا. نصر أو بدونه، بنعمة أو بدونها اللهم ارفع من شأننا واخفض من نفوسنا.

ولكن هناك موضوعًا أحب أن نناقشه معًا، لماذا فرح النجاشى بانتصار رسول الله ﷺ فى بدر؟

سؤال يبدو غبيًا ولكنه فى حاجة إلى إجابة ذكية، وتعالوا نتخيل الملك النجاشى المسيحى يراقب سيدنا محمد وقد آمن بأنه رسول الله يحارب المشركين، مع أى من الفريقين يكون قلب النجاشى؟ وأى الفريقين يتمنى أن ينتصر؟

بعض المحللين قالوا إن النجاشى قد ساعد المسلمين خوفاً من امتداد نفوذهم فى المستقبل وغزوهم للحبشة. فأراد أن يبنى علاقات معهم لتأمين مستقبل بلاده بل ومستقبله وحياته هو نفسه، هؤلاء لم يفهموا النجاشى حقًا.

فلو كان هذا التحليل سليمًا لتمنى النجاشى أن ينتصر المشركون على المسلمين من منطلق إن عدو عدوى صديقى ولكسر شوكة الأعداء المسلمين ونبيهم. بل وكان يمكنه أن يساعد المشركين ويمدهم بما يحتاجونه لينتصروا على

المسلمين. لم يفعل النجاشى هذا، لأنه آمن بقلبه أن محمدًا رسول الله ﷺ مثله مثل موسى وعيسى، وهو بذلك أولى بالرسول من المشركين، ومساندة الرسول واجب عليه كرجل يؤمن بالله وكتبه ورسله ومنهم محمد رسول الله ﷺ.

وعندما بلغه نبأ انتصار النبى ببدر، تصرف كما تعلم كمسيحى مخلص، فتواضع لله شاكرًا نصرته لنبيه محمد. وهو بهذا قد أعطى المثل والقدوة لكل أصحاب الديانات السماوية التى تؤمن بالله الواحد فى أن نساند بعضنا البعض فى الحق فنحن أولى ببعض. لم يتعصب النجاشى لمسيحيته ولم يتمنَّ زوال أى دين آخر ولم يتهم الآخرين بالكفر أو الشرك بالله، ولكنه ساند وأيد كل دين سماوى يحض على الفضيلة والإنسانية. إن علينا أن ندرس وندرس ما فعله النجاشى المسيحى مع النبى محمد ﷺ وصحابته، إنه مثال ونموذج نحتاجه فى مصر خاصة، وفى كل دول العالم، وللإنسانية جمعاء.

النجاشى وإسلام عمرو بن العاص:

ويذكر ابن هشام فى السيرة والواقدى فى المغازى قول عمرو بن العاص كنت للإسلام مجافيًا، فحضرت بدرًا مع

المشركين فنجوت، ثم حضرت أُحد فنجوت، ثم حضرت الخندق فقلت فى نفسى: أوضع والله ليظهرن محمدًا على قريش: فخلفت مالى بالرهط وآفلت «ترك الناس» فلم أحضر المدينة ولا صلحها، وانصرف رسول الله ﷺ بالصلح ورجعت قريش إلى مكة، فجعلت أقول : يدخل محمد قابلاً مكة بأصحابه، ما مكة بمنزل ولا الطائف وما من شىء خير من الخروج. وأنا بعد ناء عن الإسلام، أرى لو أسلمت قريش كلها لم أسلم. فقدمت مكة فجمعت رجالاً من قومى كانوا يرون رأيى ويسمعون منى ويقدموننى فيما نابهم.

فقلت لهم: كيف أنا فيكم؟

قالوا : ذو رأينا ومدرهنا[1] مع يمن نفس وبركة أمر.

فقلت لهم : تعلمون والله أنى لأرى أمر محمد يعلو الأمور علوًا منكرًا، وإنى قد رأيت رأيًا.

قالوا : ماهو؟

قلت: نلحق بالنجاشى فنكون عنده، فإن كان يظهر محمد كنا عند النجاشى، فنكون تحت يد النجاشى أحب

(١) مدرهنا: الزعيم والمقدم فينا.

إلينا من أن نكون تحت يد محمد، وإن تظهر قريش فنحن من قد عرفوا.

قالوا: هذا الرأى.

فقال: فاجمعوا ما تهدونه له. وكان أحب ما يهدى للنجاشى من أرضنا الأدَمَ. قال عمرو فجمعنا له أدمًا كثيرًا ثم خرجنا حتى قدمنا على النجاشى، فوالله وإنا لعنده إذ جاء عمرو بن أمية الضمرى، وكان رسول الله ﷺ قد بعث عمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشى بكتاب كتبه إليه يزوجه أم حبيبة بنت أبى سفيان، فدخل عليه ثم خرج من عنده، فقلت لأصحابى هذا عمرو بن أمية، ولو دخلت على النجاشى وسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه، فإذا فعلت ذلك سُرت قريش وكنت قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد.

قال : فدخلت على النجاشى فسجدت له كما كنت أصنع.

فقال النجاشى: مرحباً بصديقى[1] أهديت لى من بلادك شيئًا؟

---

(١) وكان عمرو وقد قابل النجاشى قبل ذلك حينما أرسلته قريش ومعه عبد الله بن أبى ربيعة.

قال عمرو: فقلت له نعم أيها الملك، أهديت لك أدمًا كثيراً ثم قربه إليه، فأعجبه، وفرق منه أشياء بين بطارقته، وأمر بسائرة فأدخل فى موضع، وأمر أن يكتب ويحتفظ به. فلما رأيت طيب نفسه.

قلت: أيها الملك إنى قد رأيت رجلاً خرج من عندك وهو رسول رجل عدو لنا، قد وترنا وقتل أشرافنا وخيارنا فأعطينه فأقتله.

فرفع يده فضرب بها أنفى ضربة ظننت أنه كسره. ابتدر منخارى، فجعلت أتلقى الدم بثيابى، وأصابنى من الذل مالو انشقت بى الأرض دخلت فيها فرقًا منه.

ثم قلت له: أيها الملك، لو ظننت أنك تكره ما فعلت ما سألتك.

قال وأستحيى.

وقال النجاشى: ياعمرو، تسألنى أن أعطيك رسول رسول الله من يأتيه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى، والذى كان يأتى عيسى ابن مريم لتقتله؟

قال عمرو: وغَيِّر الله قلبى عما كنت عليه، وقلت فى نفسى عرف هذا الحق العرب والعجم وتخالف أنت؟

قلت : أتشهد أيها الملك بهذا؟ قال: نعم أشهد به عند الله ياعمرو فأطعنى واتبعه، والله إنه لعلى الحق، وليظهرن على كل دين خالفه، كما ظهر موسى على فرعون وجنوده.

قلت: أفتبايعنى على الإسلام؟

قال : نعم فبسط يده.

فبايعته على الإسلام، ودعا بطست فغسل عنى الدم وكسانى ثيابًا، وكانت ثيابى قد امتلأت من الدم فألقيتها.

ثم خرجت إلى أصحابى فلما رأوا كسوة الملك سروا بذلك.

وقالوا: هل أدركت من صاحبك ما أردت؟

فقلت لهم : كرهت أن أكلمه فى أول مرة وقلت أعود إليه

قالوا: الرأى مارأيت، وفارقتهم كأنى أعمد لحاجة فعمدت إلى موضع السفن، فأجد سفينة قد شحنت برقع فركبت معهم ودفعوها حتى انتهوا إلى الشعيبة، خرجت من الشعيبة ومعى نفقة، فابتعت بعيرًا وخرجت أريد المدينة حتى خرجت على مر الظهران، ثم مضيت حتى كنت بالهده، إذا رجلان قد سبقانى بعير كثير يريدان منزلاً، وأحدهما داخل فى خيمة، والآخر قائم يمسك الراحلتين فنظرت وإذا خالد بن الوليد.

فقلت: أبا سليمان

قال : نعم!

فقلت: أين تريد؟

قال : محمدًا دخل الناس فى الإسلام فلم يبق أحد به طمع، والله لو أقمنا لأخذ برقابنا كما يؤخذ برقبة الضبع فى مغارتها.

فقلت: وأنا والله قد أردت محمدًا وأردت الإسلام ، وخرج عثمان بن طلحة فرحب بى فنزلنا جميعًا فى المنزل ثم ترافقنا حتى قدمنا المدينة، فما أنسى قول رجل لقيناه ببئر لأبى عينة يصيح: يا رباح يا رباح، فتفاءلنا بقوله وسرنا، ثم نظرنا إليه فأسمعه يقول : قد أعطت مكة المقاد بعد هذين، فظننت أنه يبشر رسول الله بقدومنا، فكان كما ظننت، وأنخنا «بالحرة» فلبسنا من صالح ثيابنا، ونودى بالعصر فانطلقنا جميعًا حتى طلعنا عليه صلوات الله عليه، وإن لوجهه تهللاً، والمسلمون حوله قد سروا بإسلامنا. فتقدم خالد بن الوليد فبايع، ثم تقدم عثمان بن طلحة فبايع، ثم تقدمت فوالله ما هو إلا أن جلست بين يديه فما استطعت أن أرفع طرفى إليه حياء منه، فبايعته على أن يغفر لى ما تقدم من ذنبى، ولم يحضرنى ما تأخر.

فقال عليه الصلاة والسلام: إن الإسلام يُجب ما كان قبله، والهجرة تجب ما كان قبلها.

قال عمرو: فوالله ماعدل بى رسول الله وبخالد بن الوليد أحدًا من أصحابه فى أمر حزبه منذ أسلمنا ولقد كنا عند أبى بكر الصديق بتلك المنزلة، ولقد كنت عند عمر بن الخطاب بتلك الحالة وكان «عمر بن الخطاب» على «خالد» كالعاتب[1]، وذكر الواقدى أن قدوم عمرو بن العاص وخالد كان قبل فتح مكة، وذكر الطبرى أن إسلام عمرو كان سنة ثمانى من الهجرة، التقى عمرو بن العاص قبل اللقاء السابق ذكره مع النجاشى حينما ذهب لاستعادة المسلمين موفدًا من قريش، ولكنه لم يفهم النجاشى لقد ظن عمرو أن النجاشى ملك نفعى أو منفعى أو بلغة العصر (ميكيافيللى) وإنه يمكنه أن يفعل أى شىء غير أخلاقى، ودارت رأس عمرو حتى ظن أن النجاشى يمكن أن يفكر فى أن يسلمه عمرو بن أمية الضمرى رسول سيدنا محمد ﷺ للنجاشى.

نسى عمرو أن النجاشى ملك بمعنى الكلمة وأنه لا يمكن أن يسلم رسول أوفد إليه لأى أحد ليقتله. وقد رفض من

---

(١) المغازى للواقدى الجزء الثانى.

قبل تسليم المهاجرين إليه. فكيف يسلم رسولاً جاء إليه من قبل سيدنا محمد إلى عمرو ليقتله. مستحيل طبعًا.

ومستحيل أن يسلم النجاشى أى رسول جاءه من أى بلد إلى أى أحد ليقتله.. وكما نقول إن النجاشى قد عمل الأصول مع رسول سيدنا محمد ﷺ وأعطى عمرو ما يستحق لطلبه من النجاشى تسليم عمرو بن أمية الضمرى ليقتله. وردت لطمة النجاشى عقل عمرو بن العاص إلى رأسه. بعد أن غره استقبال النجاشى له.

وأوضح النجاشى لعمرو شناعة سؤاله ومطلبه بقول النجاشى ياعمرو تسألنى أن أعطيك رسول رسول الله، من يأتيه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى والذى كان يأتى عيسى ابن مريم لقتله؟

أعتقد إن إجابة النجاشى هذه والتى لا تزيد عن سطرين قد أوضحت الأمر كله والذى ثار حوله جدل. ولنناقش الأمر بالمنطق. إن قول النجاشى وسؤاله الاستنكارى لعمرو بن العاص تسألنى أن أعطيك رسول رسول الله" أوضحت هذه العبارة مبدأ استنكار النجاشى لسؤال عمرو بن العاص أن يسلمه رسول سيدنا محمد ﷺ وهو موقف مبدئى فى المعاملات الدولية منذ قديم الأزل

وهو تحريم قتل الرسل حتى لو كانوا رسل الأعداء ويحملون إنذارًا بالحرب أو التسليم. عيب.. عيب قوى أن يقتل رسول قادم من زعيم أو ملك أو حاكم، فما بالك برسول قادم من نبى الله صلى الله عليه وسلم. كيف ياعمرو تطلب هذا؟ هذه واحدة.

أما الثانية فهى أن هذا الرسول هو رسول النبى محمد رسول الله ﷺ وهذا يوضح إيمان النجاشى وتصديقه بأن سيدنا محمد نبى مرسل من عند الله وليس مدعيًا أو صاحب مآرب أو طالبًا زعامة أو سلطة.

وقول النجاشى عن سيدنا محمد ﷺ «من يأتيه الناموس الأكبر» توضح بما لا يدع مجالاً للشك بأن النجاشى مؤمن تمامًا بأن سيدنا محمد يأتيه الوحى من عند الله ويأتيه كما كان يأتى الرسل الأنبياء من قبله. وهذا الذى يبلغه القرآن ليس من عندياته بل هو من رب الكون، وكتابه الذى ينزله على نبيه محمد.

ويوضح النجاشى ذلك قوله «من يأتيه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى، والذى كان يأتى عيسى ابن مريم».

إذًا إن النجاشى صدق وآمن بأن سيدنا محمد نبى رسول من الله مثل سيدنا موسى وسيدنا عيسى. وهذا

غاية المراد. أن يؤمن أناس بأن سيدنا محمد رسول من عند الله وأن الوحى يأتيه من عند الله مثلما كان يأتى موسى وعيسى، وإشارة النجاشى لسيدنا موسى تدل على إيمان النجاشى بسيدنا موسى كنبى مرسل من عند الله، وإن كان النجاشى ليس من أتباعه أى ليس من اليهود أتباع سيدنا موسى. وقوله «والذى كان يأتى عيسى بن مريم» يدل على إيمانه بأن الناموس الأكبر كان يأتى موسى وعيسى من قبل وهو على دين المسيحية التى أتى بها سيدنا عيسى ابن مريم وأن هذا الناموس الأكبر لم ينقطع اتصاله بالأرض وها هو قد نزل على سيدنا محمد ﷺ فهو من يأتيه الناموس الأكبر.

وهكذا أوضح الملك النجاشى أنه وإن كان مسيحيًا إلا إنه آمن بباقى الأنبياء المرسلين من الله تعالى، فهو يؤمن بسيدنا موسى وسيدنا عيسى ويؤمن أيضًا بسيدنا محمد ﷺ أى طراز من البشر أنت يانجاشى؟

ونعود إلى عمرو بن العاص وقول النجاشى له: والله إنه لعلى الحق، وليظهرن على كل دين خالفه. ويضرب النجاشى لنا مثلاً من التاريخ بقوله «كما ظهر موسى على فرعون وجنوده»، والنجاشى بذلك ينقذ عمرو من الشرك

والضلال، ويوضح له أن محمداً بن عبد الله هو رسول من عند الله، وأنك يا عمرو أولى باتباعه، فهو من بلدك وعشيرتك، فكيف تكفر به وتحاربه؟ وأنت أولى الناس باتباعه لأنه نبى مرسل. وقول عمرو: «وغَيَّر الله قلبى عما كنت عليه» أوضحت أن لطمة النجاشى قد أتت بمفعولها فجعلت ابن العاص يفيق من غيه ويتجه للصواب والإيمان. وقد أبلى عمرو بن العاص فى الإسلام بلاءً حسنًا، وإن كان يعرف بداهية العرب، ولكن داهية العرب لم ينجح فى تضليل الملك النجاشى، بل إن النجاشى هو الذى نجح فى هداية داهية العرب.

النجاشي
وزواج سيدنا محمد من أم حبيبة

كانت أم حبيبة قد تزوجت من عبيد الله بن جحش قبل زواجها من سيدنا محمد. ولعبيد الله قصة مثيرة وغريبة وعجيبة وكما وردت في السيرة قصته تبدأ قبل البعثة المحمدية فقد كان ورقة بن نوفل بن أسد (وهو ابن عم السيدة خديجة بنت خويلد) وعبيد الله بن جحش وعثمان بن الحويرث بن أسد، وزيد بن عمرو بن نفيل قد اجتمعوا في عيد لصنم من الأصنام، فقالوا فيما بينهم: تعلموا والله ماقومكم على شيء، لقد أخطأوا دين أبيهم إبراهيم، ما حجر نطيف[1] به، لا يسمع ولا يبصر، ولا يضر ولاينفع،

(١) نطيف به: ندور حوله من الطواف.

ياقوم التمسوا لأنفسكم دينًا، فإنكم والله ما أنتم على شىء، فتفرقوا فى البلدان يلتمسون الحنيفية دين إبراهيم. فأما ورقة بن نوفل فاستحكم فى النصرانية، واتبع الكُتب من أهلها حتى علم علمًا من أهل الكتاب، وأما عثمان بن الحويرث فقدم على قيصر ملك الروم فتنصر وحسنت منزلته عند قيصر.

وأما زيد بن عمرو بن نفيل فوقف فلم يدخل فى يهودية ولا نصرانية وفارق دين قومه، فاعتزل الأوثان والميتة والدم والذبائح التى تذبح على الأوثان[1] ونهى عن قتل الموؤدة.

وقال: أعبد رب إبراهيم، وبادئ قومه يعيب ما هم عليه، وأما عُبيد الله فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم ثم هاجر مع المسلمين إلى الحبشة[2]، وكانت «رملة» بنت أبى سفيان بن حرب - وأمها صفية بنت أبى العاص عمة سيدنا عثمان بن عفان - كانت رملة زوجة لابن عمه الرسول عبيد الله بن جحش الأسدى. وقد أسلم عبيد الله فأسلمت معه رملة. وأبوها أبو سفيان على الكفر. وخشيت أذى أبيها، فهاجرت مع زوجها إلى

(١) فعل ذلك قبل تعليم الإسلام.
(٢) سيرة ابن هشام الجزء الأول.

الحبشة وهى مثقلة بحملها وتركت أباها فى مكة وقد جُن غيظه، وقهره أن أسلمت ابنته وليس له إليها سبيل. وهناك فى الحبشة وضعت رملة بنتها حبيبة بنت عبيد الله والتى كنيت بها فصارت تدعى «أم حبيبة»، وإذا هى فى غربتها تكتم حنينها إلى الوطن، وتحاول أن تجد فى زوجها وطفلتها عوضًا عمن فارقت من أهل وعشيرة، وقامت من نومها مذعورة ذات ليلة فقد روعت برؤيا زوجها «عبيد الله» بأسوأ صورة. واستيقظت لتعلم أن «عُبيد الله» قد ارتد عن دينه الذى من أجله هاجر إلى الحبشة واعتنق النصرانية دين الأحباش.

وحاول أن يردها عن دين الإسلام فصبرت على دينها. وكادت «أم حبيبة» تهلك غمًا وأسى وحسرة.

فيم كانت هجرة عُبيد الله إذًا، وفيم كان عذاب الاضطهاد ومحنة التشرد ومرارة التنكر للآباء والأجداد. وها هو يصبئ عن الإسلام الذى من أجله احتملت كل شىء، ورضيت أن تذيق أباها عذاب القهر والحسرة.

لقد كان أكرم لعبيد الله أن يبقى على دين آبائه وأن يقاتل عنه مع قومه وعشيرته دفاعاً عن مقدسات موروثة عن الأجداد من قديم الحقب، أما أن يكفر بهذا كله،

ويرضى بالإسلام دينًا، ويهاجر للحبشة، فيكفر بالإسلام. ويستبدل به ديناً غريبًا لقوم غرباء فى بساطة ودون تحرج كما يبدل ثوبًا بثوب، فأية مهانة وأى عار. وهذه الابنة حبيبة ما ذنبها لكى تولد لمثل هذا الأب الصابئ المرتد؟ وتمزق شمل أسرتها. وتوزعت بين ديانات شتى، فأبوها كان مسلمًا وأصبح نصرانيًا وأمها مسلمة، وجدها مشركًا وعدوًا للإسلام.

ولم يكتف عُبيد الله بهذا ولكنه كان إذا مر بأصحاب رسول الله ﷺ فى الحبشة يقول لهم ما معناه: أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر ولم تبصروا بعد.

ولكن لم يمض وقت طويل حتى هلك عبيد الله بالحبشة وهو على النصرانية.

واعتزلت رملة الناس شاعرة بالخزى لفعلة الرجل الذى كان لها زوجًا ولابنتها أبًا، وأغلقت عليها وعلى ابنتها حبيبة، لا تريد أن تلقى الناس فى دار هجرتها، ولا سبيل إلى أرض الوطن، هل تعود إلى مكة ولكن أين تقيم فى مكة لو عادت؟ أفى بيت أبويها وقد حيل بينها وبينه منذ أسلمت؟ أم فى دار جحش رهط زوجها السابق وقد اقفرت من أهلها بعدما فعله زوجها من الإسلام والهجرة ثم اعتناق

النصرانية. صبرت أم حبيبة على كل هذا واحتملت ولكن كان للقدر رأى آخر.

وفى هذه الأثناء كان رسول الله ﷺ يواصل دعوته من المدينة ويتزايد أنصاره يومًا بعد يوم، وقد جاءه من الحبشة بعض المهاجرين قبيل خيبر بسنتين أى حوالى عام خمسة للهجرة.

وقرر سيدنا محمد ﷺ أن يتزوج أم حبيبة وأن يُسترجع المسلمون المهاجرون بالحبشة. فإن الوضع فى المدينة يسمح بذلك بل ويتطلب ذلك. وفى نهاية العام السادس للهجرة أرسل سيدنا محمد ﷺ عمرو بن أمية الضمرى - رسوله المعتاد للنجاشى إلى الحبشة وأرسل معه كتابًا للنجاشى، وكتب إلى النجاشى أن يزوجه أم حبيبة، وأن يبعث إليه من بقى من أصحابه. وفى هذه الزيارة تقابل عمرو بن العاص مع عمرو بن أمية، هذا وأم حبيبة فى عزلتها لا تعرف عما يدور شيئًا، فما شعرت ذات يوم إلا وطرقات تلح على بابها الموصد مستأذنة لجارية من جوارى النجاشى تقول لها: إن الملك يقول لك : وكلى من يزوجك من نبى العرب، فقد أرسل إليه ليخطبك له. واستعادت أم حبيبة حديث الجارية مرة ومرتين وثلاثة حتى إذا استيقنت البشرى. نزعت سوارين لها من فضة

فقدمتهما إليها حلاوة البشرى، ثم أرسلت إلى «خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس» - كبير المهاجرين من قومها بنى أمية - فوكلته فى زواجها وفى المساء، دعا النجاشى إليه من المسلمين بالحبشة، فجاءوا يتقدمهم جعفر بن أبى طالب ابن عم رسول الله وخالد بن سعيد وكيل العروس.

وتكلم النجاشى وترجم المترجم: - «إن محمدًا بن عبد الله كتب لى أن أزوجه أم حبيبة بنت أبى سفيان فمن أولاكم بها»؟

أجاب القوم: «خالد بن سعيد، وقد وكلته».

فاتجه إليه النجاشى قائلاً : -

«فزوجها من نبيكم، وقد أصدقتها عنه أربعمائة دينار» وسكب الدنانير، فقام خالد وقال:

«قد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وزوجته أم حبيبة بنت أبى سفيان» وقبض الصداق(1)

(1) المؤلف: النجاشى هو الذى دفع من ماله الخاص صداق رسول الله إلى رملة، رغم أن النجاشى على النصرانية دين قومه.

وأولم لهم النجاشي وليمة الزواج قائلاً «اجلسوا، فإن من سنة الأنبياء إذا تزوجوا أن يؤكل طعام على التزويج».

ثم أتوا باب أم حبيبة مهنئين مباركين. وباتت بنت أبى سفيان فى مهجرها وهى «أم المؤمنين». وأصبحت فجاءتها جارية النجاشى تحمل إليها هدايا نساء الملك من عود وعنبر وطيب، فقدمت إليها «أم المؤمنين» خمسين دينارًا من صداقها قائلة «كنت أعطيتك السوارين بالأمس وليس بيدى شىء من المال، وقد جاءنى الله عز وجل بهذا».

فأبت الجارية أن تمس الدنانير، وردت السوارين وهى تقول: «إن الملك أجزل لها العطاء، وأمرها ألا تأخذ من أم المؤمنين شيئًا. كما أمر النجاشى نساءه أن يبعثن إليها مما عندهن طيب. وتقبلت أم حبيبة الهدية شاكرة فاحتفظت بها حتى حملتها معها إلى بيت النبى ﷺ.

وحانت ساعة العودة، وأم حبيبة سعيدة راضية، وقد حملت معها ابنتها حبيبة، وفى انتظارها الزوج. وأى زوج إنه رسول الله ﷺ لقد عوضها الله عما لاقته فى الحبشة بل وأجزل لها العطاء. عادت أم المؤمنين أم حبيبة مع آخر وفد من المسلمين المهاجرين. وذكر ابن هشام العائدين بقوله: .

- جعفر بن أبى طالب وأمرأته أسماء بنت عميس وابنه عبد الله وكانت أنجبته بالحبشة.

- خالد بن سعيد بن العاص ومعه زوجته أمينة بنت خلف وابنه سعيد بن خالد وابنته «أمه» بنت خالد ولدتهما بالحبشة. وأخوه عمرو بن سعيد بن العاص.

- معيقب بن طلحة وكان إلى آل سعيد بن العاص، وأبى موسى الأشعرى.

- الأسود بن نوفل بن خويلد.

- جهم بن قيس وتوفى ابناه عمرو وخزيمة وأمهما حرملة بنت عبد الأسود بالحبشة.

- عامر بن أبى وقاص.

- عتبة بن مسعود.

- الحارث بن خالد بن صخر وتوفيت زوجته ريطة بنت الحارث بالحبشة.

- عثمان بن ربيعة.

- محمية بن الجزء.

- محمد بن عبدالله بن فضله.

- الحارث بن عبد قيس.

أما عن هجرة أبى موسى الأشعرى وكيف وصل للحبشة فقد ذكر البيهقى عن أبى موسى الأشعرى:

قال: بلغنا مخرج النبى عليه السلام ونحن باليمن فخرجنا مهاجرين إليه، أنا وأخوان لى أنا أصغرهم: أحدهما أبورهم والآخر أبو بردة، إما قال : بضعًا وإما قال فى ثلاثة أو اثنين وخمسين رجلاً من قومى. فركبنا سفينة فألقتنا إلى النجاشى بالحبشة، فوافقنا جعفر بن أبى طالب وأصحابه عنده.

فقال جعفر: إن رسول الله ﷺ بعثنا وأمرنا بالإقامة، فأقيموا معنا، فأقمنا معه حتى قدمنا جميعًا، فرافقنا رسول الله ﷺ حين فتح خيبر فأسهم لنا، وما قسم لأحد غائب عن فتح خيبر شيئًا إلا لمن شهد معه إلا أصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه قسم لهم معهم. قال أبو موسى: فكان أناس من الناس يقولون لنا يعنى لأصحاب السفينة سبقناكم بالهجرة ولكن رسول الله ﷺ قال «ليس بأحق بى منكم له ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان».

فهؤلاء الستة عشر رجلاً الذين جاءوا رسول الله فى المدينة مع عمرو بن أمية الضمرى، وكان عمرو قد حمل

معه فى السفينتين بعضاً من نساء من هلك فى الحبشة[1]، وقد أضاف لهم «ابن كثير» أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس ومالك بن ربيعة بن قيس بن عبد شمس ومالك بن ربيعة بن قيس بن عبد شمس ومعه امرأته عُمرة بنت السعدى.

وفى هذه الأثناء كان الرسول ﷺ قد قرر غزو خيبر؛ منها تأتى الفتنة وخيانة العهود. ومَّن الله على نبيه بالنصر. وفتح خيبر. واستعد أهل المدينة لاستقبال الجند المنتصر حيث فُتحت خيبر فى المحرم للسنة السابعة للهجرة.

ووافق عودة النبى المنتصر للمدينة قدوم المهاجرين من الحبشة، فأهل عليهم رسول الله فلمح من بينهم أصحابه الذين هاجروا من مكة فى محنة الاضطهاد والعذاب، وأولئك الذين كان آخر عهده بهم يوم تسللوا من مكة أم القرى خارجين من ديارهم وأموالهم فى سبيل الله، وأقصى ما يتمناه أحدهم أن يموت على الإسلام غريبًا مهاجرًا.

ولمح رسول الله ابن عمه «جعفر بن أبى طالب» بين العائدين فألتزمه معانقًا، وقبل عينيه وهو يقول فى غبطة:

(١) السيرة لابن هشام.

ما أدرى بأيهما أسر: بفتح خيبر، أم بقدوم جعفر والتفت رسول الله، من بعد ذلك يلتمس بقية صحبة المهاجرين وهناك بين المهاجرات العائدات . كانت «أم حبيبة» تنتظر المصطفى ليحملها إلى بيته، لتنضم إلى أمهات المؤمنين اللاتى سبقنها فى الاقتران برسول الله وهن:

- خديجة بنت خويلد، سودة بنت زمعة، عائشة بنت أبى بكر، حفصة بنت عمر، زينب بنت خزيمة، أم سلمة، زينب بنت جحش، جويرية بنت الحارث، صفية بنت حيى.

ولم يتخذ رسول الله ﷺ بعدها إلا امرأتين هما مارية القبطية وميمونة بنت الحارث.

وكان النبى ﷺ يرى عند أم حبيبة طيب الحبشة وعودها فلا ينكره.

واحتفلت المدينة بدخول بنت أبى سفيان بيت الرسول ﷺ، وأولم «عثمان بن عفان» وليمة حافلة، نحر فيها الذبائح وأطعم الناس. وباتت مكة ساهرة مؤرقة، تردد قول زعيمها أبى سفيان وقد بلغه النبأ: «هذا الفحل لا يُجدع أنفه».

هذا هو ما يخصنا فى هذا المقام من قصة زواج سيدنا محمد من «أم حبيبة» وتعالوا معًا نناقش ما فعله الملك النجاشى حينما أرسل رسول الله له ليزوجه «أم حبيبة»

كم كان تصرف النجاشى متفهمًا وإنسانيًا وكريمًا مع رسول الله ومع المهاجرين عنده، وهو الملك النصرانى الذى يخالف المسلمين فى العقيدة، فقد أرسل إلى أم حبيبة يسألها رأيها فى الزواج من رسول الله، ولم يقل لها إن محمدًا بن عبد الله طلبك للزواج وقد وافقت أن أزوجك له.

أبدًا لم يقل هذا، بل اتبع الأصول وأرسل يسألها رأيها. وأيهم تختار ليكون وكيلها. ولم يفرض نفسه وكيلاً لها، بل هو وسيط خير بين رسول وأم حبيبة. هذا من جانب ولكن هناك جانبًا مهما جدًا فى هذا الموضوع هو موقف النجاشى من «عبيد الله بن جحش» الزوج السابق لأم حبيبة ووالد حبيبة فقد ارتد عن الإسلام واعتنق النصرانية دين النجاشى ودين الأحباش ومات على النصرانية فهل حاباه النجاشى لذلك أو أكرمه أو قربه؟

لا لم يفعل هذا!

هل النجاشى رفض أن يكون وسيطًا فى زواج سيدنا محمد من أم حبيبة؟

شىء من هذا لم يحدث ولم تذكر لنا كتب التاريخ أى شىء مثل هذا، ذلك لأن النجاشى لم يحاول أن يروج لدينه

بين المهاجرين وترك كل منهم يؤمن بما يؤمن به، ونأى بنفسه عن أن يتدخل فى العقيدة الدينية لأحد. وهو بهذا يضرب مثلاً للإنسانية كلها على طول التاريخ فى التعامل السوى والإنسانى على أساس من الإنسانية بعيدًا عن أى معتقد دينى أو سياسى أو أيديولوجى أو لون البشرة أو النوع ذكر أم أنثى. إنه إنسان يعامل إنسان وفقط، فلم ينزل الله رسالاته ولم يبعث أنبياءه ليفرقوا الناس شيعًا. بل أنزل الله رسالاته على الأنبياء ليوحدوا الناس على عبادة الله رب الكون وخالقه. وكل نبى مرسل جاء من بيئة معينة وفى ظرف تاريخى معين برسالة معينة ولا يمكن أن يكون كل نبى فى أى بيئة وظرف تاريخى تكرارًا حرفيًا للأنبياء قبله، وإلا فما الحاجة له. ففى هذه الحالة لا يحتاج المجتمع الكافر أو المشرك إلى نبى، بل فى حاجة إلى جهاز تسجيل أو واعظ دينى يذكرهم بالأنبياء السابقين. وبالتأكيد ليست هذه رسالة نبى مرسل جاء ليهدى قوم لعبادة الله الواحد ويصحح أخطاء قوم بالتأكيد تختلف هذه الأخطاء من مجتمع إلى مجتمع. فالمجتمع الكافر غير المجتمع المشرك غير المجتمع الوثنى وكل مجتمع له أسلوبه للهداية، إذًا فلابد أن يتفاعل النبى مع قومه حتى يستطيع أن يُبلغ رسالة ربه.

وتعالى معى عزيزى القارئ نلخص الموضوع فى أن:

الملك النجاشى النصرانى لبى طلب نبى العرب سيدنا محمد فى زواجه من «أم حبيبة» ودفع من ماله صداقها. وأولم على هذا الزواج. بعد أن أوى المسلمين المهاجرين فى بلاده ستة عشر عامًا كاملة لم ينلهم خلالها أذى ما أروع هذا الدرس. وما أحوجنا إليه الآن.

الخاتمة

مات الملك النجاشى. مات الرجل العظيم الذى أوى المهاجرين المسلمين ست عشرة سنة كاملة، ورفض تسليمهم إلى وفد قريش بقيادة عمرو بن العاص، رغم هداياه التى ظن أنها قد تميل ميزان العدل عند النجاشى، ورغم ميل بطارقته إلى تسليم المهاجرين لأن قومهم أدرى بهم، وأعلى عيناً.

وحتى عندما تعرض عرش الملك للخطر، أمَّن المهاجرين إليه أولاً وجهز لهم سفناً ووضعها فى وضع الإستعداد. حتى إذا كان نصيبه الهزيمة كان المسلمون المهاجرون فى أمان، وإذا منَّ الله عليه بالنصر كانوا الآمنين بأرضه.

وحتى عندما ظن بعض رعيته أنه فارق دين قومه واعتنق دين المسلمين المهاجرين، ناقشهم الحجة بالحجة والرأى بالرأى، وأكد لهم إنه ما فارق دين قومهم ولكنه لا يضمر شرًا أو كراهية لأصحاب أى دين سماوى آخر، وإنه لا يزال يؤمن بعيسى بن مريم روح الله وكلمته إلى مريم البتول.

مات النجاشى الذى كان وكيلا عن سيدنا محمد ﷺ فى زواجه من أم المؤمنين «أم حبيبة»، والذى دفع مهر العروس من ماله الخاص أربعمائة دينار أمهر بها العروس عن سيدنا محمد ﷺ مات النجاشى فى شهر رجب للسنة التاسعة للهجرة بعد غزوة تبوك.

وعلم سيدنا محمد بوفاة النجاشى فى اليوم الذى توفى فيه بما للنبى من شفافية وقد يكون جبريل عليه السلام قد أخبر سيدنا محمد بوفاة النجاشى.

وقال البيهقى فى دلائل النبوة: عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نعى للناس النجاشى فى اليوم الذى مات فيه، وخرج بهم إلى المصلى وصف بهم وكبر أربع تكبيرات.

وفى حديث آخر لرسول الله ﷺ. مات اليوم رجل صالح فصلوا على أخيكم أصحمه.

وقال عليه الصلاة والسلام: استغفروا لأخيكم.

والنجاشى هو الوحيد الذى صلى عليه سيدنا محمد صلاة الغائب. ألا يستحق النجاشى هذا المكان وتلك المكانة، وهو الملك الذى آمن برسول الله وقال حين سمع القرآن من جعفر بن أبى طالب «إن هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة».

وحتى نفهم موقف سيدنا محمد من النجاشى وموقف النجاشى من سيدنا محمد يجب أن نراجع بتؤدة وتبصر كل ما حدث بين الرجلين، حتى يمكننا أن نفهم وأن نحاول أن نتفهم ما يكنه كل منهم للآخر، من إحترام وثقة وتقدير وإيمان. إن بين الرجلين تاريخًا طويلاً وممتدًا من التعامل المبنى على الثقة المتبادلة، ثقة الحكماء المبنية على التجربة العملية عبر سنوات. والأنبياء كسيدنا محمد ﷺ لديهم الشفافية حتى يمكنهم أن يروا بنور قلبهم ويعرفوا قدر الرجال جيدًا، ويستطيعون بما آتاهم الله أن يستخرجوا أفضل وأجمل ما فى النفس البشرية المعقدة التركيب والتلافيف. وحكمهم على الرجال والمواقف ينبع من إمكاناتهم أن يروا ما لايراه الرجل العادى ويبصروا ما لاتراه العين. وإن الأنبياء أهل صفوة، الصفوة من البشر

اختارهم الله سبحانه وتعالى لرسالاته وسيدنا محمد ﷺ عاش أغلب حياته فى مكة، وبالتأكيد سمع الكثير عن الملك النجاشى، واكتشف معدن الرجل واختزن هذا لوقته، وعندما ضيق المشركون الخناق على المؤمنين قرر النبى أن هذا وقت النجاشى، وأشار على أصحابه «لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكًا لا يظلم عنده أحد، وهى أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجًا مما أنتم فيه».

هذه حيثيات اختيار الرسول للحبشة بلاد النجاشى «لا يظلم عنده أحد» لم يقل الرسول ﷺ ذلك دون معرفة بشخصية النجاشى بل لابد أن يكون للنجاشى تاريخ عريق فى العدل جعل سيدنا محمد ﷺ يختاره على من سواه ليأمنه على صحابته بل وعلى ابنته رقية التى هاجرت مع زوجها عثمان بن عفان رضى الله عنه. هل كان يمكن لسيدنا محمد أن يغامر بارسال صحابته إلى النجاشى وهو غير متأكد تمامًا من رد فعل النجاشى؟

بالتأكيد كان سيدنا محمد يتوقع رد فعل النجاشى من خلال معرفته بتاريخ النجاشى، وإنه ملك لا يظلم عنده أحد وأرضه أرض صدق. ومن الخطأ أن نتخيل أن العالم فى ذلك الوقت كان بلا اتصال وانتقال الأخبار بسبب عدم

وجود راديو أو تليفزيون أو سى إن إن. ولكن كانت الأخبار تنتقل وبسرعة تعتبر معقولة فى ذلك الوقت. وعلى سبيل المثال فإن المهاجرين للحبشة عادوا إلى مكة بعد أن سمعوا بسجود أهل مكة كلهم مع رسول الله ﷺ فإن واقعة السجود وقصة الغرانيق كانت فى رمضان وعاد المهاجرون إلى مكة فى شوال، أى خلال شهر واحد أو يزيد قليلاً كانت الأخبار قد وصلت من مكة إلى الحبشة وعاد المهاجرون من الحبشة إلى مكة. وعندنا فى مصر مثل شعبى يقول «من تحمل فى مكة يأتى بأخبارها المجاورون» أى أن من تصبح حاملاً فى مكة فإن خبر حملها يأتى إلى مصر عن طريق المجاورين للحرم المكى. وهذا المثل يوضح أنه ليس هناك سر وليس هناك مكان بعيد تنقطع أخباره، بل إن الأخبار تنتقل إلى كل المعمورة عبر التجار والراحلين من مكان لآخر. كما أن العلاقات التجارية بين مكة والحبشة كانت على ما يرام خاصة بعد أن أخذ عبد شمس بن عبد مناف العهد من صاحب الحبشة كما ذكرنا سابقًا.

وعندما نضيف إلى ذلك العبيد الذين كانوا يأتون لمكة من الحبشة حتى صار لهم سوق بمكة، فإن انتقال الأخبار والسيرة الشخصية للنجاشى يصبح أمرًا يسيرًا لا يخفى

على ساكنى مكة، وبالتالى على رسول الله ﷺ كابن من أبناء مكة ولد بها وعاش فيها ثلاثًا وخمسين سنة متواصلة. وحتى بعد أن عاد المهاجرون بعد ثلاثة أشهر فوجدوا قريش على ما هى عليه. وإن الوضع يسير من سيء لأسوأ.

أشار عليهم النبى بالخروج ثانية للحبشة ولم يقترح مكانًا آخر لثقته فى النجاشى. وكنت أتمنى أن تكون أعمال النجاشى مسجلة قبل هجرة المسلمين إليه فقد كنا سنستمع ونتعلم من رجل عرف الحق والعدل وعمل بهما ولكن ما لايدرك كله لا يترك كله.

أما الملك النجاشى فقد أوى المسلمين المهاجرين إليه ولا أظنهم أول من أوى إليه. فقد اشتهر النجاشى بعدله وهذا يجذب إليه كل طالب عدل. وكل هارب من ظلم أو ظالمين.

واستقبل النجاشى المسلمين مرتين أول مرة للهجرة. وبعد رجوعهم للحبشة من مكة مرة ثانية. وكان أول احتكاك حقيقى معهم. عندما جاءه عمرو بن العاص وصحبه لإستعادة المهاجرين.

وبناء على ادعاءات عمرو أرسل النجاشى للمهاجرين ليتحقق بنفسه هل ما يقوله عمرو صحيح أم لا؟

وليس النجاشى هو من يأخذ الأمر هكذا دون سماع الطرف الآخر. فهذه قواعد العدل فى كل زمان ومكان. وبعد سماع الدفاع أدرك النجاشى أن ما يقوله هؤلاء المهاجرون ليس من كلام البشر. وأن تعاليم نبيهم هى تعاليم الأنبياء من قبل. ولذلك قال قولته «والله إن هذا وما جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة» إذاً المصدر واحد وهو الله سبحانه وتعالى.

وهنا أدرك النجاشى أن هؤلاء المهاجرين يؤمنون بدين جديد دين سماوى، وأن صاحبهم نبى مرسل. وباقى تصرفات النجاشى مع المهاجرين بعد ذلك تدل على معرفته قدر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما موضوع هل أسلم النجاشى أم لا؟ فهو موضوع لا يجب أن يشغل بالنا بعد أن عرفنا معدن النجاشى وفكره. لقد كان النجاشى مسيحى الديانة فى بلد مسيحى بل ومعقل من معاقل المسيحية فى المنطقة. وملك لبلاده . ولكنه قبل أن يكون مسيحيًا أو مسلمًا فهو إنسان.

نعم إنسان يفهم الإنسانية ويفهم الديانات. كما ينبغى أن نفهمها ونحن أمام احتمالين لا ثالث لهما. الاحتمال الأول أن يكون النجاشى قد أسلم، والاحتمال الثانى أن

يكون عاش ومات على المسيحية أو كما كان يطلق عليها النصرانية وقبل أن تناقش الاحتماليين أود أن أوضح أن إسلام الملك النجاشي أو عدم إسلامه لا يعنيني كثيرًا، لأنني في هذا الكتاب أهتم بالفكر وليس بالعقائد الدينية. وقد أردت أن أوضح ذلك قبل مناقشة الاحتماليين بعد أن تضاربت آراء المؤرخين والعلماء، فمنهم من رأى أن الملك النجاشي قد أسلم ولكنه أخفى إسلامه، واستدلوا على ذلك بكل ما فعله النجاشي وما قاله للمهاجرين بالحبشة وما قاله لعمرو بن أمية الضمري رسول سيدنا محمد ﷺ إليه. ولا داعي لتكرار ما قاله وفعله النجاشي. حتى إنه أرسل ابنه «أرها» في ستين رجلاً من الحبشة لرسول الله ﷺ بمكة حتى إذا كانوا في وسط البحر غرقت بهم السفينة.[1]

إننا في هذه الموضوعات يجب أن يكون حكمنا موضوعيًا مبنيًا على أسس علمية وليس على عواطف أو أمنيات أو أقوال شاردة ننسج منها قصة توافق خيالنا أو أمنياتنا. فإن للبحث العلمي أصوله وقواعده ولا يجب في البحث العلمي أن نسقط مشاعرنا أو عقائدنا على موضوع

(١) السيرة النبوية لابن هشام.

البحث وإلا خرج البحث عن الموضوعية. ويجب أن تكون عقليتنا عقلية علمية تعتمد الأسس العلمية وليس عقلية دينية عقائدية. إن العقلية الدينية تعمد إلى التفسير الدينى لكل فعل أو قول فإذا قال رسول الله «استغفروا لأخيكم» فهى الأخوة فى الدين وبالطبع فى الدين الإسلامى أى أن النجاشى بقدرة قادر أصبح مسلمًا لأن رسول الله قال «لأخيكم».

والعقلية الدينية المغلقة لا تقبل أى رأى خلاف رأيها، ولا تستطيع أن تفهم «الأخوة الإنسانية» أو «الأخوة الروحية». بل أستطيع أن أقول إن العقلية الدينية لا تفهم الملك النجاشى ولا سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام فى تصرفاته مع النجاشى. لأن منطق العقلية الدينية أن من ليس معنا فهو علينا. وهذا غير صحيح فى العلاقات الإنسانية التى تحتمل كل ألوان الطيف العاطفى والإنسانى.

بل إن العقلية الدينية تفسر الأمور تفسيرات غريبة جدًا لم تخطر على بال أحد وتأول كلامًا لم يقله وتخرج بنتائج لا علاقة لها بالمقدمات. وهذا خطأ وخطر ولنناقش الاحتمال الثانى. وهو أن الملك النجاشى ظل على المسيحية

وأنه آمن أن سيدنا محمدًا ﷺ رسول من عند الله ولذلك فإنه ساعد المهاجرين إليه وفعل كل ما فعل للمسلمين.

يؤيد احتمال الثانى الآتى:

١ - إن الدخول فى الإسلام يقتضى أن يشهد المرء أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله. وهذه بوابة الدخول للإسلام. ولا يعتبر المرء مسلمًا بدونها.

٢ - كيف يخفى ملك مثل النجاشى إسلامه ست عشرة سنة كاملة عن قومه ويتظاهر بالمسيحية. وهو إن فعل هذا كل هذه المدة فإنه يكون قد كذب على قومه وغشهم طوال هذه السنين. وهذا بعيد كل البعد عن الملك النجاشى وأخلاقه.

٣ - حتى يصبح الإنسان مسلمًا حقًا فلا يكفى أن يشهد بأن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله باللسان فقط. بل إن الإسلام عبادات ومعاملات بالإضافة للعقيدة. فهل كان النجاشى يصلى صلاة المسلمين؟ هل كان يصوم رمضان؟

لم يذكر أحد أن النجاشى كان يصوم ويصلى ويتطهر كالمسلمين، وهو بالتأكيد لم يحج وإن كان ينفق من ماله على الفقراء والمساكين ولكن ليس لأداء فريضة الزكاة لأنه

كان يفعل نفس الشيء قبل البعثة المحمدية وكان ينفق من ماله كعادة الملوك وهو منهم، وهو ليس بدعًا في ذلك. وهو ينفق كما ينفق الملوك وليس لأداء فريضة الزكاة.

هذا عن العبادات. فماذا عن المعاملات. هل كان يتزوج النجاشي وفقا لقواعد الدين الإسلامي؟ وهل كان لا يتجاوز أربع زوجات في ذمة واحدة؟

إن الحكم على أفعال النجاشي بأنه اعتنق الإسلام، أو الاستنتاج بأنه أسلم لا يصح. لماذا؟ لأن إسلام شخص لا يأتي عن طريق الاستنتاج بل بالإقرار.

٤ - حينما توفى النجاشي قال الرسول «مات اليوم رجل صالح فصلوا على أصحمه» وفي حديث آخر «استغفروا لأخيكم» وهنا تتضح الصورة. فلم يصل رسول الله على أي أحد مات من المسلمين. فقد مات خلق كثير من المسلمين وهم غيب فلم يصل عليهم.(١)

ولو كانت صلاه الغائب للمسلمين لصلى رسول الله ﷺ على من مات من المسلمين وهم في الغربة، ولكنه لم يفعل لأن ذلك لم يكن من عبادات أو واجبات أو نوافل المسلمين وبالتالي لم يفعله رسول الله ﷺ. وفعله سُنة وتركه سُنة

(١) زاد المعاد. ابن القيم الجوزية.

وكون رسول الله ﷺ صلى صلاة الغائب على النجاشى فقط فإن ذلك يدل على الوضع الخاص للملك النجاشى. وهذا ما أشار إليه فتحى غيث فى كتابه «الإسلام والحبشة» عبر التاريخ بقوله «إن النجاشى لم يسلم وإنما كان على المسيحية، لكنه احترم الإسلام والمسلمين وقدرهم. وإن العلاقة بين المسلمين والأحباش ما كانت لتصل إلى حالة الحرب للعلاقات الطيبة التى كانت ماثلة فى الأذهان وما يؤيد ذلك من أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: اتركوا الأحباش ما تركوكم «كما جاء فى السيرة الحلبية».

كما أشار الأستاذ فتحى غيث لما ورد فى المصادر المختلفة من أن النبى أرسل إلى النجاشى خطابين يدعوه فيهما إلى الإسلام.

ولو كان النجاشى أسلم فى المرة الأولى لما عاد النبى إرسال كتاب ثانٍ يدعوه للإسلام فى العام الذى أرسل لملوك العالم خطاباته (فى أواخر سنة ٦ هـ أوأوائل ٧هـ) بعد صلح الحديبية وقبل غزوة خيبر.

وأضاف إن هذا الإسلام. قد يترك أثراً لا يستهان به يستحق التسجيل. ولم يرد ذكر فى مراجع هذا العهد يثبت

ذلك عدا صلاة الغائب التى صلاها النبى ﷺ والمسلمون على النجاشى، ويعلل ذلك بأنه إكرامًا له واعترافًا بفضل النجاشى(1) وإننى أؤيد ماذهب إليه أ. فتحى غيث لأن هذا ما يتوافق مع شخصية الملك النجاشى ذلك الرجل الذى آمن بما أتى به النبى موسى واعتنق المسيحية وصدق رسول الله محمد ﷺ بأنه رسول الله. وفعل كل ما فعله للمسلمين من منطلق إيمانه بأن ما أتى به النبى محمد من عند الله ويخرج من نفس المشكاة أو من نفس مصدر النور الذى أضاء لموسى وعيسى وغيرهم من أنبياء الله.

كما أن الله سبحانه وتعالى لا ينكر تصديق بعض أهل الكتاب فى كتابه الحكيم القرآن الكريم فقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (199) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (200)﴾ «آل عمران».

أى أن الله سبحانه وتعالى أكد عدم تعارض أن يؤمن بعض أهل الكتاب من المسيحيين وغيرهم بما أنزل على

(1) فتحى غيث. الإسلام والحبشة عبر التاريخ.

سيدنا محمد وأن يتحلوا بصفات المؤمنين حقًا. بل إن من أهل الكتاب أيضًا اليهود بالإضافة للمسيحيين.

ولماذا نستبعد أن يؤمن بعض أهل الكتاب بأن سيدنا محمدًا ﷺ رسول من عند الله؟ ألسنا نحن ـ المسلمين ـ نؤمن بأنبياء الله من قبل سيدنا محمد ﷺ فنحن نؤمن بسيدنا موسى وبسيدنا عيسى وباقى الأنبياء المرسلين. فلماذا نستبعد أن بعض أهل الكتاب مثل الملك النجاشى المسيحى الديانة يؤمن بأن سيدنا محمدًا هو رسول الله وما يأتى به هو من عند الله. ما الغريب فى هذا. هل لابد إن كل أصحاب ديانة يعادوا أصحاب الديانة أو الديانات الأخرى.

هل أنزل الله رسالات متعددة على رسله حتى يعادى أتباع كل نبى مرسل أتباع الأنبياء الآخرين؟ بالتأكيد لا!

هل مهمة كل رجل دين أو علماء الدين أن يفندوا دعوى أصحاب الديانات الأخرى؟ لماذا؟ نعم لماذا لا نتعاون ونتكامل فى الإنسانية والتوحيد والإيمان من منطلق إن التنوع سمة البشر. وأن الله سبحانه وتعالى خلق الدنيا على التنوع والنظر فى الكون يدل على ذلك بدون شك. ليل ونهار، صيف وشتاء، والماء فيه العذب وفيه المالح، والأراضى طينية ورملية والأمثلة على ذلك بدون حصر.

فلماذا نريد أن تكون عقائد البشر كل البشر على مدى كل العصور عقيدة واحدة. لاتقبل بغيرها. إن هذا لا يوافق إرادة الله حسبما أرسله لنا فى القرآن الكريم بقوله تعالى «ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة».

إذاً إن إرادة الله هى التنوع والاختلاف. وربما الحكمة يعلمها تعالى إن هذا التنوع يدفع الحياة للأمام ويحفز البشر فى البحث والتأمل فى الكون لم لا؟

فلو أن للبشر عقيدة واحدة على مر كل العصور لربما خمدت هذه العقيدة وتوارت، ولتوضيح ذلك نفترض لو إن كل الناس لونهم أبيض فلن يلتفت أحد إلى لون الآخر ويقول هذا أبيض. لأن الناس سوف يصفونه بالغباء. فماذا يعنى هذا الأحمق بأن هذا الشخص أبيض. فإن كل الناس لونهم أبيض. ونفس الشىء سيحدث لو إن كان كل الناس لونهم أسود أو أصفر أو أحمر.

ولو كان الناس لونهم واحد ربما نسوا أن يتحدثوا عن هذا اللون لأنه لون كل البشر ولا شىء يجذب للحديث والبحث فى هذا. مثل لون الدم الأحمر لكل البشر هل يتحدث أحد عن لون الدم؟ لا! لماذا؟ لأن كل البشر لون

دمهم أحمر! صحيح يوجد دم ثقيل ودم خفيف لكن كله أحمر.

ولعله لهذا السبب أرسل الله رسلاً متعددة برسالات متعددة لبنى البشر المتعددة ثقافتهم وبيئتهم وزمانهم. استوعب النجاشى كل هذا وهو يأوى المسلمين المهاجرين إليه ولم يجد غضاضة أن يستقبلهم ويكفلهم ما طابت لهم الإقامة عنده وهو الملك المسيحى. أعطى النجاشى درسًا للبشر عبر التاريخ فى كيفية التعامل الإنسانى. ووضع أساس المعاملة بالحسنى مع ذوى العقائد الأخرى، وضرب نموذجًا فى الإيمان بالله وبكل رسله.

وما فعله النجاشى للمسلمين لم يمر على رسول الله ﷺ مرور العابرين، ولكن كان رسول الله يعرف قدر النجاشى. وقيمة ما فعله وأبعاده. ولذلك عندما علم رسول الله بوفاة النجاشى دعا صحابته للاستغفار للنجاشى أخيهم فى الإنسانية، ووقف بنفسه وكبر عليه أربع تكبيرات. نبى المسلمين يصلى صلاة الغائب على النجاشى المسيحى لما فعله للإسلام والمسلمين. هكذا درسًا بدرس وقدوة بقدوة ونموذجًا بنموذج درسًا من النجاشى فى كيفية التعامل

الإنسانى. ودرسًا من رسول الله فى الاعتراف بجميل الآخرين وحسن أخلاقهم وأفعالهم.

ليس كثيرًا على النجاشى أن يصلى عليه سيدنا محمد ﷺ فهو بتصرفاته وشهامته وأمانته وصيانته للعهود جدير بأن يصلى عليه رسول الله ويصفه بأنه «رجل صالح».

لأن الصلاح قد يأتى من أصحاب عقائد أخرى إن هم أحسنوا معاملة الناس بغض النظر عن العقيدة الدينية.

أيها الملك النجاشى. إننى أدعو الله أن يتغمدك برحمته أيا ما كانت عقيدتك الدينية، فإن ما فعلته مع المسلمين هو درس للإنسانية نحتاجه بشدة اليوم وسنحتاجه غدًا لنطفئ نار التفرقة والفرقة، ولنتعلم كيف نعيش جميعًا فى سلام نصون إنسانيتنا مهما كانت دياناتنا.

جمال صلاح الدين

المراجـع

١ ـ السيرة النبوية لابن هشام. المكتبة العلمية ـ بيروت.

٢ ـ الطبقات الكبرى لابن سعد ـ دار التحرير.

٣ ـ تاريخ عمر بن الخطاب ـ ابن الجوزى.

٤ ـ نساء النبى د. عائشة عبد الحمن «بنت الشاطئ» الهيئة العامة للكتاب ـ مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٤.

٥ ـ إسلام الملك النجاشى د. سامية عبد العزيز منيسى ـ دار الفكر العربى

٦ ـ تاريخ العرب قبل الإسلام . د. السيد عبد العزيز سالم مؤسسة شباب الجامعة ـ الإسكندرية.

٧ ـ الإسلام والحبشة عبر التاريخ ـ أ. فتحى غيث.

٨ ـ البداية والنهاية لابن كثير. مكتبة المعارف ـ بيروت.

٩ ـ دلائل النبوة . البيهقى. دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٠ ـ لسان العرب لابن منظور ـ دار المعارف.

١١ ـ زاد المعاد ـ إبن القيم الجوزية.

الفهـــرس

المقدمة ٥
الفصل الأول ٢٥
الفصل الثانى ٦٥
الفصل الثالث ٨٩
الفصل الرابع ١٠٩
النجاشى وزواج سيدنا محمد من أم حبيبة ١٣٧
الخاتمة ١٥١
المراجع ١٦٩

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
ص. ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس
WWW. egyptianbook. org
E - mail : info @egyptianbook.org



إنه الملك النجاشى ملك الحبشة أثناء بعثة رسول الله (ص).

آوى المهاجرين إليه ست عشرة سنة، وساهم فى إسلام عمرو بن العاص، وقام بتزويج «أم حبيبة» من رسول الله بل ودفع مهرها من ماله الخاص، وأسبغ حمايته، على المؤمنين حتى أثناء انقلاب قومه عليه.

قال عنه رسول الله (ص) إنه ملك لا يظلم عنده أحد.

وقال النجاشى عن رسول الله: إنه من يأتيه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى وعيسى.

وعندما مات النجاشى نعاه رسول الله (ص).

إنها قصة ما حدث بين رسول الله وبين الملك النجاشى.

الإيمان من منابعه الصافية يؤلف ولا يُفرق، يبنى ولا يهدم وسحقًا للمتعصبين.

الهيئة المصرية العامة للكتاب
٤ جنيهات

ISBN# 9774196511
6 221149 001244